الدكتور بلال نعيم

# مسيرة الزمان

## حتى صاحب الزمان (عج)

دار الهادي

جَميع الحُقوق محفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

مكتبة نرجس PDF

www.narjes-library.blogspot.com

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف:٥٥٠٤٨٧/٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/٠٣ ـ فاكس:٥٤١١٩٩ ـ ص.ب:٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

# سيرة الزمان

# حتى صاحب الزمان (عج)

تأليف

الدكتور بلال نعيم

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

# الإهداء

إلى صاحب الحق وناشره

وشريك القرآن ومظهره

إلى بقية الله وثاره

وبقية أوليائه والصالحين

إلى من صاحب الزمان حتى شاخ الزمان

وبقي الإمام رمزاً للشباب والنضارة

إلى صفاء النفوس، وأمل القلوب، ودليل العقول

إمام الزمان مولانا المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

# بداية الصراع

## ١ ـ مقدمة:

منذ اللحظات الأولى التي وطأت فيها قدما آدم وحواء عليهما السلام الأرض حصل التنازع والخلاف، في البداية كان بين آدم وإبليس هذا اللعين الذي هبط إلى الأرض مسبوقاً بتوعده عباد الله بأن يوسوس لهم ويحرفهم عن الصراط وعن الحق؛ فإذا بآدم عليه السلام يلاحقه في تلك البقاع المباركة والمحال المقدسة (منى) ليرميه بأحجار التبرّؤ من الطاغوت ومن جحوده وكبره وعصيانه، وبعد أن تحقق الطرد لإبليس على يدي آدم عليه السلام من ساحة القداسة حل اللعين في مظهر آخر، انه المنقلب إلى شياطين الجن والإنس التي تنفخ في صدور الآدميين من ذرية أبينا آدم عليه السلام، ولا شك بأن الوسوسة تفعل فعلتها في النفوس المتماهية في هواها مع رذائل الشيطان ولا تؤثر في النفس اللوامة التواقة إلى الحق وحكماً في النفس المطمئنة المتمحضة بالحق ومع التأثر السلبي بالوسوسة تتراكم آثار الالتزام والعمل وفق ما تقتضيه حتى تصبح النفس شيطانية، ويمسي صاحبها محل تجسد إبليس أو يتحول شيطاناً من شياطين الإنس الذين يقفون كسيدهم إبليس في طريق الحق يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً، أجل

يصبح هذا الانسان في الظاهر إبليساً في الباطن، وهذا ما حصل مع قابيل من أولاد آدم عليه السلام في القصة التي رواها القرآن الكريم في تعبيرات لطيفة حكت جملة سنن إلهية بعبائر وإشارات يمكن أن نتوقف عند بعضها لنقول أن المنافسة والتقابل اللذين حصلا وتمظهراً في ولدي آدم عليه السلام في بداية التاريخ يمثلان أمراً حتمياً مفروغاً منه، لان الماهيات المتناقضة لا يمكن اجتماعها، ومع عدم الاجتماع لا يمكن التعايش وعليه ستحصل المواجهة، والمواجهة لن تكون مرحلية بل هي معركة وجود سوف تكون نتيجتها أن يقضي أحد الطرفين على الطرف الآخر وقد تفرض السنن الخارجية التعايش بينهما إلا أن لهذا التعايش أمداً ينتهي حين حلول زمن الانقضاض لأحدهما على الآخر لينهيه.

## ٢ ـ القواعد الحاكمة للصراع:

بعد التأسيس على اصل نشوء الصراع على قاعدة التنافي بين الماهيات هذا الصراع الذي طرفاه أساساً هما الحق والباطل والذي سوف يخضع لقواعد ومعادلات يمكن استفادتها من قصة الصراع بين ولدي آدم عليه السلام والتي أهمها:

**أولاً:** حتمية الصراع بين الحق والباطل حتى لو كانا متمظهرين في جهتين متقاربتين كالاخوة مثلاً (فطالما هناك حق وباطل هناك صراع وطالما أن الحق والباطل لا يفنيان بفعل عوامل كثيرة فالصراع قائم في هذه الدنيا وسيبقى إلى اللحظة التي يتم فيها إزهاق الباطل وشيوع الحق).

**ثانياً:** إن وجود الحق والباطل كمصاديق بين الناس لا ينفي

أصالة الحق في فطرة الإنسان فكل إنسان يعود بالأصالة إلى الحق لذا نرى أن كلاً من ولدي آدم عليه السلام قد قرّب قرباناً ـ كما أن فرعون عندما أدركه الغرق قال آمنت برب موسى ـ مما يعني أن الباطل أمر طارئ على ماهية الإنسان والأصالة للحق في الإنسان.

ثالثاً: إن أفق الباطل ضيق، وانه بحسب الطبيعة لا يحسن الحوار ولا يقبل بالمنطق ولا يراجع حساباته، بل إن موقفه النهائي كما البدوي هو القتل قبل التفكير بالعواقب أو بالبدائل (قال لأقتلنك...)، فلم يرجع قابيل إلى نفسه ليتعقل ويتفهم سبب عدم قبول قربانه، بل عزا ذلك مباشرة إلى قبول قربان أخيه وكأن المشكلة تكمن في أخيه أو أن الله تعالى ليس في وسعه إلا أن يقبل من فرد واحد، في حين انه لو تأمل قليلاً لأدرك أن السبب يكمن في نيته وتوجهه غير السليمين.

رابعاً: إن الغلبة الظاهرية ستكون للباطل وهي لا تعني انتصاره الأبدي، بل ما حصل في الظاهر وسمي غلبة قد أدى إلى فضيحة الباطل والى كشف سوءته مما سيعني حتماً قدرة الفطرة مع الاستجابة لها على إعادة تصويب مسار الصراع لتنتج من جديد انتصاراً لحقانيتها على الباطل العالق بها، ليجيء الحق ويزهق الباطل لان الباطل بحسب ماهيته وطبيعته زهوق وباطل (والبطلان يعني الفناء في النهاية).

وهناك قواعد أخرى يمكن استفادتها من قصة ولدي آدم عليه السلام إلا أننا ههنا نكتفي بهذه القواعد لعلاقتها بالبحث الذي نحن بصدده والذي يوصل إلى آخر الزمان حيث الصياغة من جديد لعالم الإنسان

المتسافل الذي ستحل عليه بركة السماء استجابة لأصالته وطهارته فتعيده إلى التكامل والرقي مع اضمحلال الباطل وزهوقه وسطوع الحق وشيوعه. وان حركة الصراع التي بدأت مع ولدي آدم عليه السلام في تلك الصورة الأولية البسيطة التي تختزن في طياتها الكثير من أبعاد الصراع الذي يحرك عجلة التاريخ هذه الحركة مستمرة حيث أن التاريخ يسير طبقاً لمنظومة قوانين اجتماعية يتم تفسيرها غالباً على أساس أن الذي يحرك التاريخ هو الصراع الناتج عن التناقض في الماهيات والتضاد في المصالح بين الأمم والشعوب وبني البشر وهذا ما سنعرض له في بحث لاحق.

## ٣ ـ حركة التاريخ في الفلسفة الإسلامية:

جاء الإسلام وعلى لسان القرآن الكريم ليؤكد حقيقة مفادها ان الذي يحرك التاريخ عاملان منطقيان اجتماعيان أساسيان:

التناقض من جهة والتضاد من جهة ثانية (هذا إذا غضضنا الطرف عن العوامل الماورائية).

فالتناقض هو الأساس وهو الذي يطبع ويحدد طبيعة العلاقة بين الحق والباطل والتي هي علاقة ثابتة مع ثبوت ماهية كلا المحورين، فطالما أن الحق حق والباطل باطل فهذا يعني أن الاعتباريات المحيطة بهما من الزمان والمكان والظروف وغيرها لن تؤثر في تغيير الطبيعة وواقع المقابلة والتنافي بينهما سواء حصلت المواجهة أم لم تحصل فالذي يمنع من حصولها أحياناً ليس التعايش الطبيعي التفاهمي وإنما التعايش القسري تبعاً لعوامل تاريخية أخرى تتعلق بالتضاد في المصالح بين أهل الباطل أنفسهم، فالحق والباطل على امتداد الزمان يمثلان

طرفي نقيض غير قابلين للتعايش ولا بد من نشوء المواجهة بينهما وهذه حقيقة ثابتة، لكن الأمر الثاني الذي يساعد في تحريك عجلة التاريخ وفي جريانها البطيء أو السريع هو التضاد في المصالح والذي قد يحصل بين أهل الباطل أنفسهم وأحياناً بين أهل الحق، لكن طالما أن الحقانية متوفرة في الطرفين والمجتمعين تحت لواء الحق المتنافسين في المصالح فإن النتيجة سوف تكون المواءمة والتوفيق والمسالمة والصلح في النهاية.

وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ . . .﴾ (الحجرات ـ ٩).

فإذن الأصل في حال الاقتتال بين فئات المؤمنين هو الصلح ومع عدمه بقيام إحدى الفئات بالاعتداء على أختها فلا بد من إلزام الطرف الباغي على الفيء إلى الحق من أجل تحقيق الصلح في النتيجة ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ أي لا بد من إنهاء أي صراع يقوم بين فئتين من أهل الحق بناء على التغاير في المصالح المنتج لهذا الصراع لان نتيجة هكذا مواجهة هي إضعاف الحق وإثارة الشبهات حوله. فمع التدافع بين أهل الحق لن يكون الناتج إلا مزيداً من الفتن والشبهات حيث من الصعب معه الاستقطاب لصالح الحق الذي سيبدو عاجزاً عن جمع أطرافه وأجزائه.

أما في المقلب الآخر، فإن الصراع الذي قد ينشأ بين أهل الباطل أنفسهم، هو صراع ليس له حدود وقد يضعف أو يشتد تبعاً لمستوى التباين والتنافي في المصالح بين الطرفين من أهل الباطل،

وقد تصل النتيجة إلى أن يحارب كل منهما الآخر بل لان ينفي أحدهما الآخر، وهذه الحقيقة هي التي أعلنها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج ـ ٤٠) فهناك إمكانية لانشغال أهل الباطل بعضهم ببعض حتى يرتاح الحق وأهله، وهذا ما حصل ويحصل على امتداد العالم والتاريخ وقد ورد في الأدعية الكثيرة «اللهم اشغل الظالمين بالظالمين» ومنها دعاء أهل الثغور للإمام السجاد عليه السلام.

وبناء على هذه المقدمة يمكننا أن نفسر حركة البشرية على النحو التالي:

إن هناك صراعاً حتمياً ودائماً بين الحق والباطل، ولو خلي الطرفان دون تدخل عوامل خارجية لاستطاع الباطل أن يغلب الحق ويزيله تبعاً لجريان الأمور بمسبباتها، فأهل الباطل عادة كثيرون واتباع الحق قلة، وفي حال اجتمع الأكثر ضد الأقل مع التفاوت الكبير في العدد والعدة والإمكانيات فإن ناتج الصراع سيكون في كل مرحلة من مراحل التاريخ اضمحلال الحق التدريجي حتى تلاشيه، لكن الله سبحانه وتعالى ادخل في معادلة الصراع عنصراً آخر هو المواجهة التشغيلية بين أهل الباطل والتدافع بينهم على المصالح والأهداف والأملاك والسيادة وغير ذلك، مما يساعد أهل الحق في أن يأخذوا قسطاً من الطمأنينة والراحة لكي يستعدوا ويحضّروا للمواجهة بدل أن يُسحقوا في كل لحظة من التاريخ في معادلة التفاوت الكبير بين إمكانيات الحق وإمكانيات الباطل، فيكون هذا التدافع عنصراً مساعداً

في بقاء الحق وديمومته، هذا وفق المعادلات المادية التي تتحكم بحركة الصراع بين بني البشر ولولا هذه السنّة الإلهية لكان من الطبيعي أو اللازم أن تتدخل المعجزة في كل مرحلة لتنصر الحق أو لتحميه في مواجهة الباطل لان غياب الحق عن ساحة الوجود وعن عالم الشهادة لا يعني فناء الحق لوحده بل للوجود كله، إما لان الباطل عدمي بالأصل وسوف ينتفي حكماً فلا يبقى وجود وأما لان الباطل مع غياب الحق لن يجد مبرراً لوجوده فينتفي وينتهي أيضاً.

وإذا أردنا أن نصوّر المسار التاريخي للصراع بين البشر منذ لحظة النشوء إلى النهاية والوصول إلى بحر العصمة وشاطئ المهدي عليه السلام فيمكننا الاستفادة من الآية القرآنية التي تتحدث عن جريان السيل في أودية الإنسان لتصل في النهاية إلى ما يمكث في الأرض مما ينفع الناس جميعاً بلحاظ أصالتهم وفطرتهم.

تقول الآية القرآنية ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد ـ ١٧).

فإذا أردنا أن نستخلص جملة القواعد التي تتحكم بالمسار من خلال مضمون الآية القرآنية نقول:

أولاً: إن أصالة الإنسان كل إنسان هي الطهارة (وهي المعبّر عنها بالماء الهابط من السماء والنازل باليد الإلهية التي لا تمسها أية قذارة) وهذه حقيقة أكدها الإسلام من خلال الفطرة وهي نفحة إلهية مرتبطة بعالمها العلوي مشدودة إليه منجذبة نحوه تدفع الإنسان لو

خليّت ونفسها نحو الحق والربانية ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ (الروم ـ ٣٠).

**ثانياً**: إن لكل إنسان وعاءاً وجودياً هو عبارة عن نفسه التي صنعها الله بيده و﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ (الشمس ـ آية رقم ٨) والتي تختلف بين الناس بعد تلبسها بالمادة واختلاطها بعالمها قوة وضعفاً سعة وضيقاً، وبالتالي فإن كل نفس إنسانية تجسد هذا الوعاء الذي سيحتمل كمية من الماء تبعاً لقدره وسعته (فالأنفس البشرية تعبر عن التفاوت بين البشر والتمايز بينهم سواء كانوا حقانيين أم من أهل الباطل). وهذه السعة الوجودية للنفس هي مناط الحركة الجوهرية للإنسان في تكامله أو تسافله وعليها المعوّل في اجتياز مراحل ومقامات السلوك وهي المرتكز في بلوغ المقامات المعنوية أو في الرد إلى اسفل سافلين.

**ثالثاً**: إن ارتطام واتصال الماء الطاهر الهابط من السماء بالتراب الدنيوي يؤدي إلى انفعال الماء بالتراب، أي إن الأوساخ الموجودة في التراب وعليه سوف تعلو الماء وتؤثر في نقاوته وكلما زادت هذه الأوساخ والقذارات فإن المشهد الإجمالي والظاهر للنفس الإنسانية المسيّرة للتاريخ هو مشهد الباطل والزبد والأوساخ التي تعلو سطح الماء (الزبد الرابي) أو التي هي بين السطح والعمق (حلية أو متاع زبد مثله). وهذا ما يشير إلى أن الأوساخ الطارئة تنتج عن الدنيا والتعلق بها الذي رمز له بالحلية أو المتاع.

**رابعاً**: إن هذا المشهد يمثل صورة الصراع بين الحق والباطل، بين الحق الاصل والباطل الطارئ، بين الحق الماء والباطل الأوساخ،

بين الحق الفطرة والباطل الصدأ الذي علاه، هذا الصراع الذي هو بحسب الظاهر لمصلحة الباطل حيث هو الطافي والعائم والذي يظهر للعيان ويشعر معه الرائي بأنه هو المسيطر، لكنه صراع بين أصيل ودخيل ولا بد أن ينتهي في نهاية المطاف إلى عودة الإنسان كفرد والإنسانية كجماعة إلى الأصالة، إلى الطهارة، إلى الماء من خلال ذهاب الزبد الذي يطفو، ويبقى في الأرض ما ينفع الناس والذي ينفع الناس هو ما يتناسب مع فطرتهم وأصالتهم، وهناك تصل الإنسانية إلى لحظة بداية التاريخ الجديد مع الإمام المهدي عليه السلام حيث يمكث في الأرض ما ينفع الناس. وهو المتماهي مع فطرتهم وهو التوحيد وهو دين الله فيخرج بقية الله معشوق الفطرة واصلها إلى حيّز الرؤية والعيان لها بعد انقشاع السبيل أمامها وتلاشي الصدأ عنها لترى جوهرها وتنجذب نحو محبوبها فكل من يراه يقول بأنني قد رأيته.

خامساً: إن النتيجة الحتمية والأكيدة التي سوف تتحقق في النهاية هي غلبة أصالة الطهارة والحقانية والربانية للإنسان وللإنسانية التي سوف تصل إلى اللحظة من المواجهة التي يشعر حينها معظم الناس أن الباطل قد حسم الأمر لصالحه فإذا بالحق يُقذف على الباطل فإذا هو زاهق، فيذهب الزبد ويبقى في الأرض ما يتناسب مع اصل الإنسان، انه الحق الذي يحمل رايته آخر حفيد لرسول الله صلى الله عليه وآله لينشره على العوالم كلها، عالم الشهادة حيث الإنسان والعوالم الملكوتية الضاجة بسبب ما جنته أيدي الإنسان، ومن هنا يبزغ للبشرية فجر جديد وتاريخ جديد، يمكن التعبير عنه بأنه البحر الذي تسير إليه كل الروافد البشرية وتسير باتجاهه وتصل إليه بعد صراع طويل مع

الأوساخ والأتربة والعوائق الطبيعية والمصطنعة، حيث لا بد أن يصل الماء إلى البحر وهناك يصل الإنسان إلى ضالته المنشودة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق ـ ٦).

وهكذا تكون العلاقة بين أول الدنيا مع آدم عليه السلام وآخرها مع المهدي عليه السلام، ان الصراع الذي نشأ مع ولدي آدم عليه السلام والذي انتهى ظاهراً لمصلحة الباطل، هذا الصراع سوف يستمر على طول مسيرة الحياة وسوف تتحكم فيه عدة عوامل:

١ ـ عامل كثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق.

٢ ـ عامل أصالة الحق في الفطرة البشرية.

٣ ـ عامل التدافع بين الناس تبعاً للتفاوت في المصالح.

هذه العوامل التاريخية ومن خلال التمازج بينها تؤدي إلى أمرين:

**الأول:** بقاء الحق.

**الثاني:** الاضمحلال التدريجي للباطل.

ومع هذين الأمرين نصل إلى نقطة الصراع في آخر مظاهره وفي أعلى وأسعر مواجهاته حيث يضعف الباطل ويقوى الحق وتصل الدنيا إلى المرحلة التي تحتاج فيها إلى حقاني قادر على بتّ النزاع والفصل فيه لصالح الحق وليكمل من هناك بالبشرية إلى حياة رغداء هانئة ويملأ الأرض بالقسط والعدل بعد امتلائها بالظلم والجور والفساد.

# السنن الجارية على الأمم والمجتمعات

## ١ ـ قوم نوح(ع) والطوفان:

بعد هابيل وقابيل، تجربة الصراع بين الحق والباطل على شاكلة الأفراد تم تأسيسها والتعبير عنها في أوضح المصاديق وأجلاها وبعد ذلك بدأت الجماعات بالتشكل، كانت الجماعة الأولى هي أمة نوح أو قوم نوح، الذين كانوا يعيشون في وسط اليابسة المعمورة آنذاك في منطقة بلاد ما بين النهرين بناءً على ما ذكره التاريخ، وأولئك القوم كانوا يمثلون الصورة الأولى لمجتمع العصيان وللامة الطاغية، وأن الحقيقة التي يمكن استيحاؤها من قصة قوم نوح بعد قصة ولدي آدم أن أصالة الطهارة وأصالة الحق والإيمان لفطرة الإنسان لا تكفي في الصلاح فلا بد من نزول المصلح والمنقذ والنذير البشير، فكان نوح عليه السلام هو ذاك المصلح وحاول ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية وبكل الوسائل وخلال ما يقرب من ألف سنة لإصلاح هؤلاء القوم دون فائدة، بالرغم من أن الإصلاح الذي نشده يتناسب مع الصلاح الذي تنشده الفطرة بحسب ماهيتها وهنا أصبحت الأرض أمام الاستحقاق الأول، الواقع الذي عبّر عن شيوع الباطل وغلبته وكثرته، فالمؤمنون مع نوح قلة، وغالبية قومه الساحقة بمن فيهم امرأته وابنه كانوا من

الظالمين الضالين فما هو المآل يا ترى؟! هل أن الله تعالى سوف يترك هؤلاء لكي يساهموا اكثر في إشاعة الفساد؟! هل أن الأرض المعمورة التي كانت آنذاك صغيرة الحجم ضيقة المساحة تتحمل هذا المستوى من الطغيان؟! هل بالإمكان أن يبقى نوح فيهم مئات من السنين الإضافية محاولة منه لإصلاحهم؟! أمام هذه الخيارات جرت سنّة الله في العباد وهي:

إن شيوع الفساد في الأرض مع عدم وجود عدة المؤمنين الذين يشكلون حالة التوازن، بحيث يكون في الأرض جهة تفسد فتدمّر، وجهة تصلح فتعمّر، وان يكون فيها جهة تفسد فتساهم في خراب الأرض وجهة أخرى مؤمنة تساهم في حفظ استقرار هذه الأرض، فطالما أن معادلة التوازن لم تتحقق فإن الأرض كلها وليس فقط منطقة محدودة منها، كل الأرض التي تأثرت بالفساد سوف تتعرض للطوفان، وعليه فليس هناك محل آمن عليها ليس للكافرين الظالمين فقط بل أيضاً للمؤمنين، ولا بد هنا من الخروج من دائرة الهلاك التي تسبب بافتعالها الباطل القاهر والمسيطر، والتوجه بالأزواج من الكائنات البشرية والحيوانات والنباتات إلى ارض جديدة طاهرة ليس فيها فساد لتستأنف الحياة من جديد من خلال التكاثر لتلك الأزواج، وتكون هذه التجربة الجديدة على يدي مؤمنين حملهم نوح عليه السلام معه في سفينته، ولكن المستقبل كشف أيضاً عن أن مباشرة المؤمنين عملية التكاثر والتناسل من جديد لا تعني آن المتحدر من المؤمن مؤمن، بل يمكن أن يتحدر من المؤمنين فاسقون وظالمون وطغاة من هنا فإن الأمم التي تحدرت لاحقاً من الذين حملهم نوح عليه السلام

معه لم تكن أمم صلاح بالكامل، بل من بينهم كان بنو إسرائيل ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ. . .﴾ (الإسراء ـ ٣) الذين سنتحدث عنهم باختصار لاحقاً، وان كان هناك قول بأن بني إسرائيل تحدّروا من قابيل.

وما يمكن استفادته أيضاً من قصة قوم نوح عليه السلام أن الأرض لا يمكن أن تصل إلى الحد الذي يشيع فيه الفساد ويظهر في البر والبحر من دون أن يكون في المقابل مؤمنون صالحون يصدعون بالحق والمعروف لتحصل حالة التوازن التي تحول دون جريان سنة الطوفان على الأرض حال كان الواقع هو تمامية الظلم والجور والطغيان، لذا فإن من مسؤولية المؤمنين في آخر الزمان السعي للتمسك بالحق وللدفاع عنه ونشره بين الناس، ليبقى الحق ورايته خفاقتين في الأرض رحمة بالإنسان وبالإنسانية من أن تغرقها الذنوب بالطوفان بعد أن يظهر الفساد في البر والبحر ويعم أرجاء المعمورة وتطال آثاره الكائنات وتضج منه السماوات والأرضون.

## ٢ ـ عاد وثمود وعاقبة الاستكبار:

وبعد قوم نوح كانت التجربة الهامة مع عاد قوم هود عليه السلام، الذين كانوا يسكنون شمال الحجاز على ما جاء في التاريخ، ووصلوا إلى مستوى من المعرفة والتقنية ما خوّلهم إنتاج حضارة مدنية ضخمة نسبة إلى ذلك الزمن، بل يمكن القول بأنهم أسسوا أهم حضارة في ذلك الزمن، وقد استطاعوا أن يشيدوا القصور وان ينحتوا الجبال وان يحفروا الآبار، لكنهم إلى جانب هذه المدنية كفروا بالغيب وبالحق ولم يلتفتوا إلى تلك النعم العظيمة التي أولاهم الله إياها، بل اعتبروا

انهم بعقولهم فقط وبإمكانياتهم الذاتية استطاعوا أن يبلغوا ما بلغوه فإذا بهم لم تنفعهم قصورهم وحصونهم وآبارهم وكل أشكال المدنية التي اخترعوها فالفساد والاستكبار والطغيان كلها كانت أسباب كافية لنزول العذاب فتلك بيوتهم وقصورهم أصبحت معالم وآثاراً، وكانت عاقبة استكبارهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر، قتلت الناس وبقيت القصور والآبار، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ (الحج ـ ٤٥)، كل ذلك ليكونوا عبرة لمن خلفهم ولكن الأمم من بعدهم لم تعتبر كثيراً فجاء دور قوم صالح عليه السلام، ثمود، الذين كانوا يسكنون على مقربة من قوم عاد (بين اليمن والحجاز)، وقد رأوا ما حل بهم، وكان الأجدر بهم الاعتبار والاتعاظ من العاقبة التي آلت إليها عاد وقد حاول نبي الله صالح عليه السلام أن يهديهم سواء السبيل فاستضعفوه وعقروا الناقة التي أنزلها الله لهم آية، وكانت هذه التجربة الثانية لمستوى الالتزام بالولاية الإلهية بعد قصة إبليس هذه الولاية التي أُلزمت أعناق البشر وكانت ركناً أساسياً من دعوات الأنبياء الذين صدعوا في أقوالهم داعين دعوة واحدة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، دعوة شملت التقوى والطاعة أي الالتزام ببعديه النظري والعملي والذاتي والخارجي (التقوى والطاعة)، وعلى كل الأحوال فإن قوم صالح عليه السلام جحدوا واستكبروا وصموا آذانهم عن سماع نداء الحق وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم فكانت عاقبة أمرهم خسراً حيث انزل الله عليهم صيحة من السماء فباتوا كالهشيم المحتضر.

ومن قصتي عاد وثمود يمكننا أيضاً أن نكتشف بعضاً من السنن الإلهية، إنها عاقبة الاستكبار الهلاك والإبادة، فطالما هناك استكبار

هناك هلاك وان طال الزمن، وهذا يعني أن تكرار تجربة عاد وثمود ولو كانت بأسماء وصور مختلفة، لكن مع التماهي في النفسية والعقلية والممارسة الاستكبارية سوف يؤدي إلى تكرار العاقبة والتي هي الهلاك بالريح أو بالصيحة أو بالخسف أو بالأعاصير فالأمر الهام أن الاستكبار هو داع ذاتي إلى الهلاك والدمار والتآكل التدريجي أو الدفعي للامة المستكبرة كما حصل مع عاد وثمود وكما سيحصل مع كل أمة تشاكلهما في المواصفات والمزايا النفسية والسلوكية.

## ٣ ـ قوم لوط والهلاك بسبب الفساد الأخلاقي:

وبعد قوم نوح وعادة وثمود كانت قصة قوم لوط، لكن الانحراف كان من نمط آخر، انه نمط الفسق والفجور أي إن الذي يميّز بين عاد وثمود من جهة وقوم لوط من جهة ثانية، إن السمة في عاد وثمود هي الاستكبار والسمة في قوم لوط هي الفجور، وبالتالي فإن العاقبة تختلف من حيث الآلية وان كانت واحدة لجهة الهلاك والدمار. إن قوم لوط أشاعوا الفاحشة، وخرجوا عن حدود ما احل الله، بل أيضاً عن حدود الطبيعة البشرية وكانوا من الشذّاذ المنحرفين، لذا كانت العاقبة نوعاً من التطهير للأرض التي كانوا عليها والتي اتسخت بآثار ذنوبهم وحصل التطهير بالأعاصير والأمطار الغزيرة التي هطلت وأبادتهم، وهكذا يمكن استفادة السنّة التالية من تجربة قوم لوط: إن الفسق والفجور وإشاعة الفاحشة لا بد أنها ستؤدي إلى الهلاك لكن هذا الهلاك من نوع التطهير بالماء الطاهر الهاطل من السماء بالشدة المتناسبة مع حجم تراكم الأوساخ والذي وحده يكفل بإزالة النجاسة عن تلك الأرض الشاهدة للفساد والمتأذية منه.

## ٤ ـ قوم شعيب والهلاك بسبب الفساد الاجتماعي:

ونأخذ لاحقاً تجربة قوم مدين، ومعهم نبي الله شعيب عليه السلام، وكانت مشكلتهم في المعاملة، في انهم لا يوفون الكيل والميزان ويأكلون أموالهم بالباطل، ويبخسون الناس أشياءهم، وكانت دعوة شعيب عليه السلام لهم بأن يوفوا الكيل والميزان، وان لا يصدوا عن سبيل الله من آمن، فجحدوا وطغوا ورفضوا دعوة الحق واستمروا في سوء المعاملة وفي الفساد الاجتماعي وفي الغش في المكيال والميزان، وكانت عاقبة أمرهم الهلاك، وهنا أيضاً سنّة جديدة، ليس فقط الاستكبار وليس فقط الفجور بل أيضاً سوء المعاملة بين الناس والفساد الاجتماعي يؤدي إلى الهلاك إذا كانت الظاهرة اجتماعية وشائعة بين الناس.

وما يمكن ذكره باختصار قبل الوصول إلى بني إسرائيل هو التماهي بين نوعية الفساد وبين نوعية الهلاك، فالاستكبار يتلازم مع الهلاك بالصواعق والصيحة، والفجور والفساد الأخلاقي يقابله التطهير بماء السماء والغش والفساد الاجتماعي يؤدي إلى التدمير فضلاً عن قلة الأرزاق والخيرات، وقد عبّر سبحانه عن السنن بأنها مثلات سوف تتكرر مع الزمن فأنى وجدنا أمة مستكبرة كعاد وثمود فإنها سوف تباد بالريح والصيحة وأنّى وجدنا امة كقوم لوط فإنها سوف تهلك بالأعاصير والأمطار الغزيرة وأنّى وجدنا أمة كقوم شعيب فإنها سوف تدمر، وهكذا فإن هذه السنن تكون بمثابة التدخل الإلهي غير المباشر في تحريك البشرية حتى لا يقول أحد كما قال اليهود بأن يد الله مغلولة وأنه خلق الكون وترك البشر يعبثون فيه، فهو سبحانه يتدخل من خلال الأمور التالية:

* الدفاع عن الحق ووجوده في هذه الأرض. (بسنة الدفع والتدافع بين الناس).

* تسديد الحقانيين وتأييدهم ومضاعفة نتائج وآثار أعمالهم. (بما يفضي إلى تراكم مفاعيل الحق في الأرض).

* السنن التاريخية الجارية على أهل الباطل (أمماً وأفراداً) ومؤداها الهلاك الناتج عن الآثار التكوينية للاستكبار والطغيان والفحشاء، فهذه العوامل هي من الباطل والباطل زائل، ومن فحواه الباطل فهو إلى زوال.

## ٥ ـ بنو إسرائيل وخلاصة الفساد البشري:

وبعد هؤلاء كان بنو إسرائيل، والقصة معهم طويلة تمتد من النبي يعقوب عليه السلام إلى نبي الله موسى عليه السلام إلى نبي الله عيسى عليه السلام إلى نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذه التجربة ما زالت مستمرة حتى اليوم حيث يشكل اليهود الصهاينة الجهة المقابلة لدين الله ولأوليائه فهم اشد الناس عداوة للإيمان وللمؤمنين وهنا لا بد من التوقف عند بعض الخصوصيات الإجمالية لبني إسرائيل:

**أولاً:** انهم في البشر أمثال إبليس في الجن، فكما أن إبليس اختاره الله تعالى وفضّله على الجن ورفعه إلى صف الملائكة، لكنه بعد ذلك كفر واستكبر فلُفظ وطرد من جوار الرحمة إلى أسفل السافلين وأصبح ملعوناً، فكذلك بنو إسرائيل الذين فضلهم الله واختارهم من بين الناس لكنهم كفروا واستكبروا فلعنوا وطردوا من الأرض المباركة كما طرد إبليس من الجنة. أما لماذا اختارهم الله

تعالى فلعل ذلك يعود إلى ضرورة كشف مستوى خطورتهم على البشر والبشرية، هذه الخطورة التي لا تظهر وبنو إسرائيل أمة أو قوم عاديون فلا بد من تصدرهم ووضعهم في أول الترتيب وتفضيلهم حتى يكونوا ظاهرين للعيان فيمكن للبشر عندها أن يتحققوا من مواصفاتهم السيئة وإلا لأفسدوا في الأرض من دون أن ينتبه الناس لذلك.

ثانياً: إن بني إسرائيل يمثلون خلاصة الفساد البشري لجهة اجتماع المواصفات السلبية فيهم من استكبار عاد وثمود، وفسق وفجور قوم لوط، وخسران المكيال والميزان والفساد الاجتماعي كما في قوم شعيب، وكذلك هم الذين استجمعوا قبائح الصفات الفردية حيث صورهم الله تعالى بقسوة القلوب وان قلوبهم اشد من الحجارة وان هناك إمكانية لان تخشع الأحجار وان يخرج منها الماء، أما قلوب اليهود فلا خير فيها، ووصفهم بأنهم قتلة الأنبياء وانهم منافقون يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وانهم احرص الناس على الحياة ويحبون عمارة الدنيا ويخشون الموت ويكرهون لقاء الله فباتوا نموذجاً سيئاً بالإجمال اسمه اليهود حيث عمم الله الحكم عليهم في حين انه سبحانه ميز في النصارى بين أهل الحق والباطل، أما اليهود فجعلهم بالإجمال اشد الناس عداوة للذين آمنوا وحكى عنهم بلغة الشمول دون استثناء لان الحالات الفردية الاستثنائية من بعض اليهود الصالحين لن تؤثر في انطباق العنوان على المجموع.

ثالثاً: إن دور وأثر بني إسرائيل في البشرية لم يقتصر على حقبة من التاريخ، بل طبعوا بصفاتهم الحقبات المتتالية وعبّروا عن اجتماع خصال الفساد فيهم كأمة فاسدة مفسدة، سوف يكون فسادها وعدوانها

وطغيانها مصاحباً لحركة البشرية من اللحظة التي تشكلوا فيها كأمة أو كشعب إلى آخر الزمان، وسوف يكون لهم دور في إفساد الأرض لأكثر من مرة كما ذكر القرآن الكريم، وفي آخر مرة عند تحديهم وعد الله فيعودون إلى فلسطين إلى الأرض المباركة التي طردهم الله منها لأنها طاهرة وهم أنجاس ولا يمكن اجتماع هذين النقيضين مما يعني أن هذه الأرض المباركة سوف تلفظهم في نهاية المطاف مهما طال تواجدهم عليها فلا شك أن هذا التواجد سيكون مؤقتاً وان طال زمانه.

**لذا فإن السنن التي يمكن استفادتها هنا هي التالية:**

إن أسوأ صورة بشرية يمكن تمثيلها أو تجسيدها هي صورة بني إسرائيل، ولن تستطيع أمة أخرى أن تفسد اكثر منهم، بل أن أي أمة طاغية أو مفسدة ستكون نموذجاً لإحدى الأمم التي سلفت، أما بنو إسرائيل فهم النموذج الكامل السوء، وعليه بعد هذا النموذج إما انه يتكرر وإما انه يضعف، لكنه لا يتضاعف فلا يمكن تصور نموذج أكثر بشاعة وسوءاً من اليهود، نعم يمكن أن يتكرر هذا النموذج وهذا ما حصل بالفعل وتمثّل في الشجرة الملعونة في القرآن الكريم التي قصد منها اليهود بالمعنى الرديف أي يهود أمة محمد ﷺ، وان اليهود الحقيقيين مع حركة النفاق التي برزت بعد الإسلام يمثلان الصورتين المتشابهتين اللتين سوف تتحدان في مواجهة الحق في أبهى صوره، الحق الذي جسده الرسول وأهل البيت عليهم السلام، بحيث إن المحورين اللذين سيتشكلان في النهاية هما:

الأول: اليهود والذين أشركوا من جهة والذين هم اشد الناس عداوة للذين آمنوا (أي بنو إسرائيل + يهود أمة محمد ﷺ).

**الثاني**: الذين آمنوا ومعهم اتباع الحق من النصارى من الذين سيتبعون نبي الله عيسى عليه السلام بعد هبوطه إلي الأرض من جديد.

وسوف يكون لليهود دورٌ في معركة ما قبل الظهور إلى زمن حصوله، ويبقى أن الروايات أكدت أن هذا الدور يصل إلى لحظة ما قبل الظهور حيث سيتحقق أمران أساسيان:

**الأول**: إخراج اليهود من فلسطين على يدي المسلمين المؤمنين ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

**الثاني**: تحالف بقايا اليهود مع السفياني تمهيداً لقتال الإمام المهدي عليه السلام عند خروجه وسوف يخزيهم الله في النهاية ويطردهم من الأرض المقدسة إلى الأبد...

# السنن الجارية على الطواغيت

ونماذجهم في القرآن الكريم عديدة، اذكر منها أربعة هي أهم النماذج الطاغوتية التي مر ذكرها في القرآن الكريم:

- النمرود مع نبي الله إبراهيم عليه السلام.
- فرعون مع موسى عليه السلام.
- قارون مع أمة موسى عليه السلام.
- بلعم بن باعورة والاسم الأعظم.

## النموذج الأول، النمرود:

وهو الطاغية المستبد الحاكم في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو الطاغية الذي حاول قتل إبراهيم عليه السلام من خلال رميه بالمنجنيق في نار مستعرة، تلك القصة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي البداية لا بد من الإشارة إلى معنى الطاغية أو إلى تعريفها، فالطاغية من الطغيان، ومن الطاغوت،إما من الطغيان فيعني الظلم، وإما من الطاغوت فيعني الاستكبار، والظلم يعني خنق إرادة الناس وفرض إرادة أخرى عليهم ليصبحوا بلا حول ولا قوة ولا إرادة ولا اختيار، والاستكبار يعني الحلول الادعائي في مقام الألوهية والربوبية، وبالتالي

ليس من السهل إطلاق هذه الصفة على أي حاكم ظالم، بل لا بد من اجتماع هاتين الصفتين (الظلم والاستكبار) وفي حال الاجتماع يتحقق العنوان وتجري السنن التاريخية التي تتمثل بإذلال الطاغية وبهلاكه، وفي خصوص النمرود وما حصل معه فإنه أُذلّ ثلاث مرات، المرة الأولى عندما كاد إبراهيم عليه السلام أصنامه وحطمها تاركاً كبيرها لعلهم إليه يرجعون فيؤوبون إلى أنفسهم التي اختارت عبادة هذه الأصنام على توحيد الله علها تعترف بزللها وخطاياها إلا أن ذلك كله لم يردعهم عن غيهم بل قابلوه بمزيد من الطغيان والاستكبار، وان الذل الذي حصل كان نتيجة جرأة فتى صغير يدعى إبراهيم على مواجهة هذا المستكبر، وليست المشكلة في تحطيم الأصنام فالنمرود قادر على أن يبني وينحت آلافاً منها، إنما أن يقف فتى ويقول لا للنمرود فهذه هي المذلة التي أصابت الطاغي بفعل إنسان الهي أعار جمجمته لله واتكل عليه ولم يخف في سبيله لومة لائم.

أما المرة الثانية فحصلت عندما أراد النمرود أن ينتقم من الفتى إبراهيم، فجمع الناس وجمع الحطب وأشعل النار وطار اللهب وطاول السماء واحترقت الطيور المحلقة في ذلك المكان ووضع إبراهيم في المنجنيق وقذف إلى جوف النار، وتدخلت العناية الإلهية، فمن يتقي الله يجعل له مخرجاً، واليقين الذي استوطن قلب إبراهيم كانت حرارته أقوى من نار النمرود، وإيمان إبراهيم بربه جعل النار برداً وسلاماً ونجا إبراهيم عليه السلام وذل النمرود.

إذن ما حصل هذه المرة كان بفعل التدخل الإلهي بناء على معادلة أن لله رجالاً إذا أرادوا أراد وان الطاعة الحقيقية تستوجب

التسديد والتأييد الإلهيين وكم من رجال عظماء في عبادتهم تحققت على أيديهم المعجزات والكرامات بناء على العلقة التكوينية بين المقام المعنوي ودرجة الولاية من جهة ومستوى التأثير في عالم الممكنات من جهة ثانية.

وفي المرة الثالثة ذل النمرود أيضاً وذلك عندما تحققت السنة الإلهية الجارية على الطواغيت التي تستطيع الأرض رغماً عنها أن تتحملهم لكن لا إلى ما لا نهاية، وتحمّل الأرض لهم هو نتيجة أمرين:

**الأول:** هو إمهال الله لهم علّهم يعودوا عن غيّهم (فالله يمهل ولا يهمل والله يمدّهم في طغيانهم يعمهون).

**والثاني:** هو صمت الناس واستسلامهم للواقع وعدم قيامهم من أجل تغييره (فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

والسنة الإلهية اقتضت بأن يذل النمرود أخيراً على يد بعوضة ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج ـ ٧٣) دخلت في انف النمرود وبقيت تزعجه وتؤذيه وتثيره وتنغص عليه معيشته حتى قتلته (قتل الإنسان ما أضعفه وما أوهنه).

## النموذج الثاني، فرعون:

الذي صرّح بالألوهية، وكان ينادي أنا ربكم الأعلى، ويقول لقومه أن ليس لكم من إله غيري، وقد ساعده على طغيانه وفرعنته رجل طاغ آخر هو هامان الذي يمثّل قرين الطاغية، وما يمكن استفادته هنا لجهة الثوابت التاريخية حقيقة وجود القرين إلى جانب

الطاغية في كل زمان، كما هو حال الصالحين حيث لكل نبي وصي فإنه لكل طاغية قرين، وفرعون كان عالماً وكان يملك من المقدرات والكنوز والامكانيات ما لا يعد ولا يحصى، لكنه استكبر وطغى، وظلم وافسد، فأذله الله ثلاث مرات أيضاً:

**المرة الأولى:** عندما عجزت كل إمكانات الرصد عنده من اكتشاف المولود الذكر الجديد من بني إسرائيل الذي سيدمر زعامته ويقضي على ملكه، وهذا المولود لم يكن في فلسطين وإنما في قصره، وتربى عنده.

من هنا قد يعتقد الناس أن الطاغية المقتدر باستطاعته أن يفعل كل شيء وان يحكم بكل شيء وان يفعل ما يريد وهذا وهم وعلى خلاف حقيقة أن الإنسان ضعيف مهما بلغ من الجبروت والطغيان.

**والمرة الثانية:** حصلت عندما تداعى فرعون وقومه إلى موعد يوم الزينة ليبارزوا موسى عليه السلام بوسيلة السحر الذي ظنوه وسيلة خلاصهم من موسى عليه السلام فإذا بهم ينقلب السحر عليهم، وتتحول الجموع المحتشدة للاحتفال بالخلاص من موسى عليه السلام إلى جموع ترجع إلى أنفسها لتعلم أن فرعون ضعيف وانه ليس بإله وان الرب هو اله موسى، حتى وان كانت هذه الجموع لم تعلن ذلك بصراحة كما فعل السحرة إلا إنها ذاتاً قد أيقنت بالفعل، وهنا أيضاً إمكانية استفادة هذه الحقيقة انه قد يحشد الطاغوت جنده وقوته لسحق الحق الضعيف فإذا بالأنظار المحتشدة والمنتظرة لرؤية مشهد الحق يهوي تشهد هي نفسها تلك التي اجتمعت بفعل إمكانيات الباطل سقوط الباطل وهلاكه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ...﴾ (الأنفال ـ ٣٦).

والمرة الثالثة: لإذلال فرعون وهي مرحلة الهلاك كانت عندما أصر على ملاحقة موسى عليه السلام وقومه بعد معجزة السحر والعصا، وبعد أن كان من الواجب عليه بفعل المنطق العقلائي الصحيح إما أن يؤمن برب موسى وإما أن يدع موسى عليه السلام وقومه وشأنهم أي أن يتركهم يهاجروا إلى الأرض المقدسة التي أمرهم ربهم بدخولها، لكنه أصر على الاستكبار والطغيان ولحق بموسى عليه السلام وقومه فأدركه الغرق فكان من الهالكين وهذه هي نهاية الطاغية.. الهلاك. إذن يمكن تحديد القاعدة التالية إنّ لهلاك الطاغية على شاكلة فرعون ثلاثة شروط ومقدمات (تحدي الحق ـ حشد كل القوة ـ الإصرار على ممارسة الاستكبار والطغيان).

## النموذج الثالث، قارون:

وهو طاغية ومستكبر من نوع آخر، انه طاغية المال، الذي ملك من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، والذي أُترف في هذه الحياة الدنيا، والذي اعجب بماله معتقداً بأنه هو الذي صنعها وحصّلها واكتسبها وانه قادر على الاحتفاظ بها، وانه يملك قوة السيطرة على هذه المقدرات، وإذا بالعجب والغرور والكبر والترف، كلها أسباب اجتمعت لتؤدي إلى هلاك هذه الثروات وتالياً إلى هلاك هذا المستكبر لان قوته وحضوره بل ان كل وجوده كان متمثلاً بهذه الأموال والكنوز، وعندما ذهبت ذهب معها، وأصبح الذين كانوا يتمنون مكانه يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء، ونموذج قارون يجسد الطغيان الناتج عن امتلاك المال والثروة وليس مجرد امتلاكهما من دون الطغيان وليس مجرد الترف فقط فقد يكون هناك

مترفون يمهلهم الله ويدعهم، فالطاغي المشابه لقارون هو من توصله أمواله إلى الكبر والطغيان على عباد الله تعالى فالنموذج القاروني هو استجماع الصفات التالية معاً: (امتلاك الثروة الطائلة ـ الترف في الحياة الدنيا ـ الطغيان والاستكبار).

## النموذج الرابع، بلعم بن باعورة:

بلعم بن باعورة الذي تحدث عنه القرآن بالرمز والصفة دون التسمية وهو نموذج خاص، له علاقة بمن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار، وليس على تقوى من الله، والذي يرمز إلى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان والذي يرمز إلى الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، والذي يشير بالفعل إلى امكانية العدول عن الحق والانحراف مهما بلغ الإنسان من درجة في العبادة والزهد الظاهرَين، وهذا النموذج الذي يشير أيضاً إلى شبيه إبليس بين أفراد البشر، الذين يعتقدون بأنهم قد بلغوا الكمال أو يظن الناس ذلك فإذا بهم يسقطون من اعلى عليين إلى مقام اسفل السافلين إلى ما هو أدنى رتبة من البهائم إلى المحل الذي تحدث القرآن عنه لكنه أخلد إلى الأرض ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف ١٧٦).

وان القاسم المشترك في هذه النماذج الأربعة هو الاستكبار والجحود، والتفاوت بينهم هو أن النمرود كان طاغية ويظلم الناس دون ادعاء الربوبية ظاهراً، وفرعون كان طاغية يظلم الناس وقد ادعى الربوبية، وقارون كان طاغية وتصرف بفعل ماله وثروته وكأنه رب، وبلعم كان الطاغية الذي اظهر الاعتقاد بربوبيته لله إلا انه في الحقيقة

كان ربه هواه أي كانت حقيقته الربوبية وان اظهر العبودية أي إن مرد كل هذه النماذج إلى الطاغوت الذي يضع نفسه في مقابل الله تعالى إما صراحة وإما بشكل غير مباشر، وقد يكون بحسب الظاهر مسلماً أو من اتباع دين والعلاقة بين هذه النماذج وما نحن فيه من البحث هو جريان السنة الإلهية من خلال تكرار هذه النماذج في حياة البشر، حيث وفي حال عدم القيام بمواجهتهم من قبل المستضعفين المظلومين فسوف يزدادون طغياناً، وفي حال القيام لمواجهتهم فإن حقيقتهم واهية، فأصنام النمرود تحطمت، وفرعون أدركه الغرق وقارون خسفت به الأرض، وبلعم بن باعورة هوى إلى الأرض، وهذه النماذج مع إمكانية تكرارها يمكن أن تشكل رايات الباطل التي ستواجه الحق في آخر الزمان، حيث ستجتمع كل النماذج الطاغوتية الفردية والأممية في مشهد من التاريخ عظيم، وهناك تتم عملية التصفية من جديد في تلك اللحظة التي يهيئ الله تعالى لها بقوله ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الإسراء ٥٨).

في تلك اللحظة حيث تتهاوى أمم الطغيان وتتدحرج عروش الطواغيت تنكشف الساحة عن استغاثات للبشر تصرخ من كل اتجاه أن هلم إلينا يا بقية الله في الأرضين. حيث ينقشع الغمام الملبّد فوق ساحة الفطرة، فتعود إلى صفائها من جديد، هذا الصفاء المتضمن للأمانة التي حملها الإنسان، أمانة الولاية لإمام العالمين الذي تعرفه فطرة كل إنسان فهو جزء من جوهرها وكنهها، وعندما تقدر الفطرة على النطق فسوف تنادي باسمه وتستغيث بكنيته وتبحث عنه في كل

المدى، وسوف يشعر كل إنسان لاحقاً وبعد رؤيته بأنه يعرفه، ويظن كأنه قد رآه سابقاً، ولعل هذه الرؤية قد تمت بفعل تضمن الفطرة البشرية لصورة وجهه الكريم.

# حركة الصلاح البشري

**مقدمة:**

في مقابل الأمم الطاغية كان المستضعفون، وفي مقابل الطواغيت كان الأنبياء والأولياء ومع التعدد والتغاير والتنوع في النماذج المستكبرة والتي تمثل الباطل سواء كانت أفراداً أم جماعات إلا أن حركة الصلاح واحدة من لدن آدم عليه السلام إلى بقية الله الأعظم عليه السلام، فلا مجال للتفرقة بين رسل الله وبين أوليائه، فكلهم سعوا إلى إقامة دين الله، وكلهم خرجوا من إنيتهم لتحقيق العدالة بين البشر، وجميعهم نبذوا المصالح الذاتية من أجل خدمة الناس، ولم يسألوا الناس أجراً بل كانوا ينتظرون اجر الله وجزاءه ومع هذه الوحدة في حركة الصلاح من حيث الماهية، إلا أنها امتازت بالمقدار الذي أثرته في مسار البشرية، وكان هذا التمايز ذا علاقة بالارتقاء الطبيعي للبشر في حركتهم إلى الأمام، لذا كانت التشريعات هي التي ميزت الأنبياء وفضلت بينهم لجهة دائرة التبليغ ومساحة الاهتمام وحجم الأمة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ١٣٦) من حيث أصل الإيمان بهم وبعصمتهم وبدورهم وفي آية

أخرى يقول سبحانه وتعالى ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء ـ ٥٥) أي إن التفصيل كان من جهة اتساع دائرة التشريع تبعاً لحاجة البشر، ومع اتساع هذه الدائرة لا بد من الارتقاء في الكمال الشخصي لصاحب الرسالة الأكمل، مع الاعتقاد بكون الجميع من الكاملين، وهكذا كان نبي الله محمد ﷺ هو اكمل الشخصيات وافضل الأنبياء وكانت رسالته هي اكمل الرسالات وأتمها.

## الأولين والآخرين:

التعبير القرآني في إيجاز حركة الصلاح من أولها إلى آخرها كان في قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (آل عمران ٣٣ ـ ٣٤).

فأول المصطفين آدم ونوح مع أن بينهما مسافة من الأنبياء، ولعل ذلك إشارة إلى أهم شخصين كانا في بداية تكوين البشرية هما آدم ونوح، آدم عليه السلام كأب للبشر ونوح كنبي لأول أمة تشكلت، وان آخر المصطفين ينتميان إلى آل إبراهيم والى آل عمران، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أن أولى الناس بإبراهيم محمد ﷺ وآله، وإن آخر آل عمران من الأنبياء هو عيسى بن مريم عليه السلام وبالتالي فقد تكون الآية تشير إلى أول شخصيتين وآخر شخصيتين من المصطفين والأولان هما آدم ونوح عليهما السلام والآخران هما عيسى والمهدي عليهما السلام (عيسى من آل عمران والمهدي من آل إبراهيم).

ونسأل هنا ما هي علاقة هؤلاء المصطفين وغيرهم من الذين

ذكروا في القرآن بهذه الحركة التاريخية التي بدأت بآدم أبى البشر وسوف تنتهي بالمهدي عليه السلام منقذ البشر؟!.. للجواب على هذا السؤال لا بد من استرجاع أهم الأحداث التي حصلت مع أنبياء الله وأوليائه.

يمكن بالإيجاز القول بأن غالبية الأنبياء والأوصياء إن لم نقل جميعهم قد تعرضوا للبلايا والمحن والاضطهاد والعذاب والتنكيل من قبل المشركين والكافرين والمنافقين وهذه الحقيقة ترتبط بعدة أمور منها اشتداد الابتلاء مع الارتقاء في المقام ومنها تحمل النبي والوصي ضريبة الدعوة في مواجهة أهل الضلال ومنها أيضاً سنة الغلبة الظاهرية للباطل تبعاً لمعادلة كثرة أهل الباطل وعدم التكافؤ في الإمكانيات، وبناء عليه فإن كل نبي أو وصي قد توفي أو قتل مظلوماً حانقاً مضطهداً، وله في ذمة الله والتاريخ ثار ممن ظلمه واضطهده وعذبه وتارة يتم انتظار الوعد الإلهي الأخروي ويوم القيامة من أجل أن يفي الله تعالى بوعده الذي قطعه على نفسه تجاه أنبيائه وأوصيائه والمؤمنين فينتقم من أعدائهم وتارة يقال بأن الانتقام الحقيقي لهذه المظلوميات لا يتم إلا في هذه الدنيا وهنا السؤال ما هي ضرورة الانتقام في الدنيا، طالما أن الله تعالى توعد الظالمين بالنار؟!.. وهل الانتقام في الدنيا اعظم وأشفى للغليل من الانتقام في الآخرة؟!...

## أهمية الانتقام للأنبياء والأولياء والمؤمنين في الدنيا:

الجواب يرتبط بأمرين:

**الأول:** إن الجريمة التي ارتكبها الظالمون والمفسدون والمجرمون قد حصلت في الأرض، وصاحب الحق يعتبر أن حصوله

على حقه وانتقامه لنفسه من هؤلاء الظلمة لا يتم إلا في الأرض فهو بعد موته وحشره لن يلتفت كثيراً إلى حقه بمقدار ما يحتاجه لدخول الجنة لا بمقدار ما سينتقم به من الآخر الذي ظلمه، وبالتالي فإن الذي يُظلم في الدنيا بقتل أحد أقربائه لن يشعر بالراحة وبالثأر الحقيقي إلا عندما يقتص من الظالم والقاتل في الدنيا، أما لو قلت له دع الانتقام فالله سينتقم لك في القيامة، فإنه لن يركن إلى هذه المقولة حتى لو كان مؤمناً فطالما أن الله سبحانه جعل لولي الدم سلطاناً في طلبه بالدم فلماذا سيتخلى هذا الولي عن الطلب لا سيما وان هذا الطلب هو الذي يتناسب مع الطبيعة البشرية التي تركن إلى العاجِل دون الآجِل.

**والثاني**: إن بعض مظاهر الفساد في الأرض تتمثل في جرائم ارتكبت بحق الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، هذه الجرائم التي نفذت على هذه الأرض وتركت بصماتها وآثارها على العوالم المادية، ومن جملة ما أثرت فيه هو النقصان التدريجي لعمر للأرض، ونقصان الخير والبركة فيها، وعندما سيُطلب من بقية الله في الأرض أن يزيل الفساد فإن عليه أن يزيل أسباب الفساد وعلله ليزيله بعد ذلك مع آثاره، ومن أسباب الفساد في الأرض ما شهدته المعمورة من جرائم قتل وتعذيب بحق أنبياء الله وأوصيائه والمؤمنين والمستضعفين، وفي حال لم ينتقم الله تعالى من الجناة على هذه الأرض فستبقى أسباب الفساد أو بعضها قائمة ولن يُزال الفساد كلياً من هذه الأرض.

وبناء على هذين الأمرين فإن الوعد الإلهي اليقيني بالثأر للأنبياء في هذه الدنيا قبل يوم القيامة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾

(المجادلة ٢١)، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر ٥١) فمن هنا جُمعت كل مظلوميات الأنبياء والأولياء وألزمت رقبة ولي الله الأعظم الذي سيتولى الثأر لهم فهو الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء من المؤمنين والأوصياء، وكذلك هو مالئ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما تكون قد ملئت ظلماً وجورا، وتراكم الظلم والفساد هو المؤدي إلى انتشاره في البر والبحر أي أن الفساد الذي سيزيله الإمام المهدي عليه السلام ليس مرتبطاً بما يحصل في آخر الزمان بل بما تراكم وتجمع وتكثف في الصورة الجامعة للفساد التي تتحصل في آخر أيام الدنيا والتي تعبّر عن ابتكار البشر وتطويرهم لكل فنون الفساد والظلم والشرور مستفيدين من عقولهم الجبارة ومن تجارب الفساد للأمم السابقة.

## العلاقة بين المهدي(عج) والأنبياء(ع):

ولأن حركة الصلاح بدأت بآدم عليه السلام وسوف تنتهي بالمهدي عليه السلام ولان هذا الأخير سوف يثأر للجميع، كانت النتيجة ما يلي:

**أولاً:** اجتماع سنن الأنبياء ومواصفاتهم في الإمام المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان، ويقف في الكعبة ويسند ظهره إلى الحجر الأسود حيث يلتفت إلى أنصاره الحافين حوله الشاخصين الأنظار إليه ويقول عليه السلام مخاطباً لهم: «من أراد أن ينظر إلى آدم فأنا أولى بآدم...» حتى يصل إلى حبيب الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله.

**وثانياً:** هو طموح كل نبي ووصي أن يكون من أنصار الإمام

المهدي عليه السلام ومن الذين يقاتلون بين يديه، ففي الخطابات الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم على لسان أنبياء الله تعالى ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (النبي موسى عليه السلام).

أو على لسان الله تعالى ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومن هم الصالحون، انهم الذين تحدث الله تعالى عليهم بأنهم سيرثون الأرض، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، وهنا حاجة للتوقف عند هذا المفهوم الذي تحدث عنه القرآن (مفهوم الصالحين)، والذي ركز سبحانه على نعت بعض أنبيائه بهذه الصفة على الرغم من انهم جميعهم من الصالحين فلعل ذلك مرده إلى أن المفهوم هنا خاص وليس عاماً أي (فئة الصالحين) مقابل فئة (المفسدين)، وهي فئة مختصة بزمن اقتصاص الله من الظالمين وبيوم خروج المهدي عليه السلام، فعندما نقرأ الآية التي وردت بحق نبي الله عيسى عليه السلام ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٤٦)، والتي يمكن تأويلها بما يلي: إن الآية تتحدث عن ثلاث مراحل، يحدث عيسى عليه السلام فيها قومه أو الناس وهي حال كونه في المهد صبياً عندما قال أنا عبد الله رداً على افتراء الناس على مريم البتول عليها السلام، وحال كونه كهلاً من خلال الإنجيل ودعوة النصرانية، وأخيراً حال كونه من الصالحين في الفئة التي تؤازر صاحب الزمان حيث يكون حجة على أهل الكتاب بغية ربطهم بالإمام المفترض الطاعة.

وثالثاً: فإن بعضاً من الصالحين الذي مروا على هذه الدنيا سوف تكون لهم كرامة النصرة للإمام المهدي عليه السلام حيث وردت الروايات

عن بعض الأشخاص كأهل الكهف والخضر وسلمان الفارسي وسواهم من الذين جسّدوا شخصيات فاقت أهل زمانها وعياً وتديناً والتزاماً، هي تصلح بحسب مواصفاتها لتكون شاهدة على آخر الزمان بعد أن تكون شاهدة على الزمان الذي عاشت فيه وعلى الأمم التي عاصرتها، ومن هؤلاء نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام الذي سيكون له دور كبير في توجيه النصارى وأهل الكتاب نحو ولاية إمام الزمان بدل خوض النزاع والقتال معهم كما سيتبين معنا في الأبواب الأخيرة من هذا الكتاب.

# الإسلام وتمامية حركة الصلاح

يعتبر الإسلام محطة نهاية التشريع بمعنى تمامية الوحي أو تمامية ما أراد الله سبحانه أن يشرّعه للناس وهو خلاصة ما أتى به النبيون وتمام ما جاءت رسل الله تعالى وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده واختاره لهم في ختام مسيرة الصلاح والصالحين.

وللإسلام مزايا كثيرة أهمها فيما يرتبط ببحثنا هذا:

* الشمولية.

* الحاكمية.

* العالمية.

## الشمولية (فيه تبيان كل شيء):

في إطار التشريع ولحاظ جميع احتياجات البشر، على امتداد عالمي الزمان والمكان وذلك وفق منظومة تشريع خاصة فيها من الثابت ما ينسجم مع فطرة الإنسان الثابتة ومن المتغير ما يواكب حركة الإنسان في تطورها من دون الإضرار بالثابت ومن دون إعاقة حركة الحياة، والشمولية هذه جعلت الإسلام خاتمة الرسالات بحيث لم يعد بعد الإسلام تشريع الهي وبالتالي فالأصل يقضي أن يتبع جميع أهل

الديانات هذه الرسالة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران ـ ٨٥) وهذا الأصل سواء حصل بفعل الإرادة والقناعة أو لم يحصل بفعل الجهل أو الاستكبار عن الحق فإنه في نهاية المطاف مرسوم له ان يتم ولو كره الكافرون ولو كره المشركون، فالله سبحانه وتعالى قال ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (الصف ٩)، وهذا الظهور والإظهار يحتاج إلى مقدمات والى مُظهر، والمقدمات أساساً بيد البشر ويساعد في تهيئتها الله تعالى، والمظهر أمره بيد الله أساساً ويساعد في خروجه البشر، والمقدمات تتمظهر في جميع أعمال البشر من الصالحين والطالحين والمظهر هو بقية الله أرواحنا فداه.

## الحاكمية (إن الحكم إلا لله):

إن الحكم في الإسلام لله وان قيادة البشر يجب أن تكون من منطلقات إسلامية ويجب أن تكون كلمة الفصل للحكم الإسلامي وهذه الحاكمية تفرضها الشمولية لجهة الجدوى من هذا التشريع العظيم، الذي نزل ليخرج الناس من الظلمة إلى النور ولإسعادهم في الدنيا والآخرة ويجب أن يخرج إلى ساحة التطبيق وعالم الممارسة لأن منظومته عملية وجادة وتتناسب مع خصوصيات البشر على اختلاف انتماءاتهم وتشكلاتهم وفيه ما يجيب على غالبية تساؤلاتهم ليس فقط في خصوص الآخرة بل أيضاً تلك الأحكام المتعلقة بنظام حياتهم، ومن الأمور التي تم فيها الإساءة إلى هذا الإسلام عن قصد أو عن غير قصد اعتباره (أي الإسلام) غير قادر على الأخذ بزمام المبادرة وغير قادر على قيادة الحياة، وبالتالي تم الفصل بين الإسلام

كمنظومة أحكام وقيم وشعائر وطقوس وممارسات عبادية وبين الحياة في سياستها وإدارتها وأنظمتها وللأسف فإن المسلمين ساهموا في تطور هذه النظرة السلبية بسوء تصرفاتهم ومن خلال اقتصار فهمهم للدين على الزاوية العبادية منه، وإغفال الجوانب الحياتية الأخرى التي بقيت بمثابة المادة الخام التي تحتاج إلى تصنيع لتخرج أحكاماً تفصيلية تساهم في تطور حياة البشر الذين راحوا يسعون لملء الفراغ في التشريع من خلال التوليف بين ما حفظوه أو ادخروه في لا وعيهم أو وعيهم عن رسالات السماء وما جاء به الفلاسفة وما حكم به العلماء وما اشتهر به العرف، وأحياناً أتت أحكامهم مطابقة لما أراده الله تبعاً لحقيقة التلاقي بين العقلاء في الأحكام فالله تعالى هو رئيس العقلاء وسيدهم، وفي كثير من الأحيان كانت أحكامهم غير مطابقة لإرادة الله تعالى لأن جزءاً من المصالح والمفاسد التي تقف وراء الأحكام الشرعية الإلهية ذات طابع ابدي لا يمكن للعقول القاصرة إدراكه فمن الظلم الذي لحق بالإسلام وبالتالي لحق بالإنسان وبالحياة هو التجاهل والتغافل عن المفاهيم والأحكام الكلية التي نزلت بلسان القرآن والروايات والأحاديث لتكون موارد ينهل منها العلماء ما يروون به ظمأ الإنسان ليس فقط إلى الفوز في الآخرة وإنما أيضاً للسعادة في الدنيا.

وهذا الظلم هو بعض من الظلم الذي سوف يحيط بشعاع الأرض وعالم الإنسان والذي سوف يخرج من يزيله عن وجه هذه الأرض فتعود للإسلام حاكميته بعد أن تبين أحكامه التفصيلية ويأتي المهدي عليه السلام بالإسلام كما أراده الله تعالى مبيناً وشارحاً ومفصلاً للآيات والأحكام ويبدو الإسلام بناء على ذلك بالنسبة لمن لم يعرفوا

إلا بعض كلياته وكأنه دين جديد، وحداثة هذا الدين سوف تكون من جهات عدة:

أ ـ الأولى ابتعاد الناس وبينهم المسلمون عن الدين الإسلامي حتى إذا رأوه حاضراً بينهم يخالونه جديداً من جهة المسافة التي كانت تفصلهم عنه.

ب ـ الثانية وجود الكثير من الأحكام التي يتم التعاطي معها أو الاجتهاد فيها على أساس الظاهر وسوف تتبدل بفعل الحكم بالواقع من قبل الإمام المهدي عليه السلام.

ت ـ الثالثة وجود الكثير من الأحكام التي سوف يشرعها الإمام سوف تكون بالفعل جديدة حيث كانت العقول قاصرة دون إدراكها خصوصاً تلك المتعلقة بفهم آيات القرآن الكريم وتأويلها (لأن تأويلها بحاجة إلى أحد الراسخين في العلم).

**العالمية:**

وهي خصوصية ترتبط بالشمولية والحاكمية، فالشمولية تعني الإنسان والعوالم المختلفة والحاكمية تعني الأرض ومن عليها، ومنشأ هذه العالمية أن الله سبحانه هو رب العالمين وانه هو الذي ارتضى هذا الدين وقال لرسوله صلى الله عليه وآله لتبينه للناس، وليس فقط لأهل الجزيرة، صحيح أن الإسلام بدأ من آية وأنذر عشيرتك الأقربين ثم توسع بآية لتنذر أم القرى ومن حولها، إلا أن الهدف والغاية هما إيصاله إلى الناس أجمعين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧)، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (سبأ ـ ٢٨).

والقرآن نزل لإخراج الناس جميعهم من الظلمة إلى النور، لذا جاءت أحكام الإسلام لتكون عالمية سواء لجهة الأفق الذي فتحته هذه الأحكام في الاتجاهات المختلفة، أو لجهة السعي للتآلف بين البشر وخلق الاستقرار في العالم الذي يمهد لسريان الأحكام الإلهية فدعا سبحانه إلى التعارف بين الشعوب والأمم والقبائل ودعا الإسلام إلى السلم كافة ليشكل ذلك أرضية يسهل من خلالها نشر الإسلام في العالم.

وقد تجاوز الإسلام في أحكامه الكثير من الخصوصيات واعتبر أن قيمة الإنسان في تقواه فإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وساوى بين الناس وجعل قيمة كل امرئ ما يحسنه وما يقدمه من خدمات للإنسان ولعالمه، وهذه العالمية قد حالت دونها نفوس وطبائع ومشارب عمل الإسلام على تجاوزها فحكمته بدل أن يحكمها وجرت عليه بذلك سنن التاريخ، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وطالما أن الإسلام شامل الأحكام وطالما انه للحكم بين الناس جميعاً، لذا فإنه عالمي وهذه العالمية سوف تحصل وتتحقق في يوم من الأيام رغماً عن النفوس الضعيفة والصدور الحرجة والعقول الواهية وإرادات المستكبرين وسوف يشهد هذا العالم من مشرقه إلى مغربه سطوع شمس الإسلام على امتداده، وهذا الأمر سيتم من خلال تحقق مقولة «انه لا يصح إلا الصحيح» وأن الحق الذي هو الأصل في الإنسان سوف يخرج من دائرة الفطرة إلى حيز التطبيق، وسوف تصل اللحظة التي تلفظ فيه جبلة الإنسان ما أنتجته أيدي البشر من الفلسفات الواهية بعد أن يظهر قصورها عن تلبية متطلبات الإنسان إلى

الراحة والطمأنينة والاستقرار ولا يبقى أمام الإنسان إلا اللجوء إلى الحق وأهله، فيكون الحق هو الإسلام وأهله الإمام المهدي عليه السلام، فيظهر الإسلام على الدين كله ويحكُم هذا العالم من قبل ولي الله الأعظم المهدي عليه السلام ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

# عاشوراء محطة التقويم والاستنهاض

## عاشوراء وحماية الدين

لقد شهد الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حركة انقلابية كادت تودي به لولا الموقف الواعي والجريء للإمام علي عليه السلام الذي سالم لحفظ الدين ولحماية ذلك الإنجاز التاريخي الذي حققه الرسول الأكرم ﷺ وتنازل عن حقه من أجل الرسالة وتحمل المظلوميات الكبرى ومنها تلك الأذية التي تعرضت لها بضعة النبي ﷺ، كل ذلك في عين الله وفي سبيله ولحماية دينه وأوليائه ولحفظ أمور الإسلام والمسلمين، فبعد أن عرج النبي إلى ملكوته، انكشفت تلك النفوس وتكشفت حقيقتها المستغرقة في الذات والانا والمصالح الضيقة حتى ولو جاءت على حساب الإسلام وعزته وكرامته وسؤدده فإن ذلك لا يتغير، وحصل الانحراف في الأمة وتمادى ذلك الانحراف إلى المحطة التي أصبح فيها يزيد خليفة للمسلين وهو لا يعرف من الإسلام شيئاً ولا يقرب إلى هذا الدين بشيء. وهنا كان لا بد من قيام لتقويم المسار، ولحفظ تراث الأنبياء وبالأخص تراث النبي محمد ﷺ الذي عبر عن ذلك في يوم من الأيام قائلاً حسين مني وأنا من حسين، وقد صرح أئمة وعلماء بأن عاشوراء هي مجددة

الإسلام وأن الإسلام محمدي النشأة حسيني البقاء. هذه الحقيقة لم تكن لولا الآثار العظمى التي تركتها النهضة الحسينية في عالم الإسلام ومنها:

- أنها أعادت إحياء الدين كعقيدة، والأصل في العقيدة هو التوحيد والتوحيد لا ينفك عن الإيمان بالمعاد، والإيمان بالمعاد يعني الورع عن محارم الله أي إن من لوازم الاعتقاد بالآخرة الورع عن المحارم وأول الورع عدم سفك دماء المؤمنين وعدم التعرض لهتك حرم المؤمنين فكيف إذا كانت هذه الحرم تخص نبي هذا الدين وسبطه وأحفاده ونساءه.

- وهي التي أعادت إحياء الإسلام كشريعة، فيزيد كان فاسقاً متهتكاً يشرب الخمر، ويلاعب القرود، والإمام الحسين عليه السلام قام من أجل إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجراء حدود الله بعد تعطيلها، من هنا نجد الفرائض والعبادات والشعائر حاضرة في كل ركن وزاوية وحدث وموقف وقول للحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته.

- وهي التي أعادت إحياء الإسلام كأخلاق وقيم، فالإمام الحسين عليه السلام جسّد في نهضته قيم الإباء والشجاعة والفداء والإيثار والاخوّة والمساواة والحرية وغير ذلك، وكانت قيماً عملية تمثلت في أبهى الصور التي قدمتها النماذج الكربلائية المتلألئة في حين أن الجهة المقابلة كانت تمثل الرذائل وذمائم الأخلاق إن لم نقل إنها كانت تمثل الجاهلية وقيمها وعادتها ومسلكها.

وبعد إحياء الدين وتعاليمه يمكننا الحكم بأن لعاشوراء الأثر في

حفظ الإسلام كله حتى الإسلام ظاهراً أو الظاهري كان متعرضاً للفناء لولا نهضة الحسين عليه السلام فالذي كان مستهدفاً من الانحراف المتمثل بحكم يزيد هو القضاء على الإسلام كله وجوداً وماهية وحضوراً وفاعلية وهذا ما يؤكد طبيعة العلاقة الحميمية بين الإسلام وبين عاشوراء، وان ما ساهم في تخليد هذه النهضة مع الزمن خلود الإسلام وذكره وقرآنه. كما كان لعاشوراء الدور الكبير في الأجيال اللاحقة من خلال الحرارة التي بعثتها في نفوس المؤمنين حيث أضحت عاشوراء النموذج الجهادي الاستنهاضي الوضّاء الذي يقتدي به المؤمنون على مر العصور فجاءت الثورات وتعاقبت كلها باسم الحسين عليه السلام ونهلت من معين جهاده وعطائه الذي لا حدود له، وهذا مفاد ما قاله الإمام الصادق عليه السلام «ان لجدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً».

وفي هذا العصر ردد الإمام الخميني(قده) وهو الذي قام بثورة هي الصورة عن عاشوراء المتماهية معها في المضمون والأهداف، ردد هذا الإمام(قده) «بأن كل ما عندنا هو من عاشوراء». أجل إن الحسينيين يقومون وينهضون ويتحدون الواقع السيء ولا يقبلون الظالم ولا بالظلم وهم إنما يقومون بكل ذلك امتثالاً للنهج الذي خطه الإمام الحسين عليه السلام بدمائه وبدماء أصحابه وأهل بيته.

## عاشوراء والنهضة المهدوية:

لقد حلّت عاشوراء في المقطع الأخير من عالم الإنسانية، وكان هدفها حفظ تراث النبي والثأر من الظالمين بعد أن تراكم الظلم والفساد ووصل إلى أعلى مستوى من الانحراف حيث دُعي المسلمون

لبيعة طاغية وظالم بدل ولاية الإمام العادل، وهذا الأمر كان بمثابة انقلاب على كل المواثيق والقيم والشرائع التي نزل بها أنبياء الله تعالى من لدن آدم حتى نبينا الأعظم صلوات الله عليه وآله، فكان لا بد من وقفة حسينية عالية الشأن والمقام، ضحّى فيها أبو عبد الله الحسين عليه السلام بجميع ما أوتي، واستحق بفعل ذلك مقام الوارث للأنبياء والأولياء والصالحين والصدّيقين، وأصبح للحسين عليه السلام بفعل عاشوراء (دين وجميل وعرفان) في ذمة كل نبي ووصي بل في ذمة كل مؤمن ومؤمنة، بل أيضاً في ذمة كل إنسان حر، بل في ضمير كل إنسان، فلولا هذه النهضة لعمّت دنيا الإنسان الانحرافات والأباطيل، وضاعت الموازين وتبدلت المعايير وأصبح الخسيس قدّيساً والقدّيس ذليلاً خسيساً ولضاع الحق وسطع الباطل لا باسمه بل باسم الحق ولهاجت الناس وماجت دون أن تدري أفي حق هي أم في باطل، وراحت تخبط خبط عشواء، فدماء الحسين عليه السلام هي التي حالت دون هذا التخبط للإنسان ودون وقوعه في التيه، كما أنها هي التي حفظت جهد الأنبياء وحالت دون أن تضيع وتذهب سدى، فكان النص الصريح في زيارة وارث للإمام الحسين عليه السلام (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله.. السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله).

أما العلاقة مع آخر الزمان وبالتحديد مع عاشوراء الكبرى التي سوف ينهض بها الإمام المهدي عليه السلام فجوانبها متعددة لكننا هنا نكتفي بذكر العلائق التالية:

**أولاً: من حيث الأهداف**، عاشوراء كانت مشروع إصلاح في

أمة الرسول ﷺ مشروعاً شمولياً طاول الرسالة والشريعة والقيم والمثل والأخلاق لا من جهة اصل التشريع والحكم فقد كان تاماً بل من جهة الممارسة والالتزام وحسن الانقياد والولاء، وقد لامس هذا المشروع الإصلاحي للنهضة الحسينية كل زاوية من زوايا الدين أصابها الخلل والانحراف، وسوف تكون مهمة عاشوراء اللاحقة إصلاحية بالدرجة الأولى في دين الإسلام وفي حياة المسلمين، إلا أنها سوف تطال كل البشر على امتداد العالم (أي وحدة الأهداف مع تفاوت في السعة والأثر).

وأيضاً في الأهداف، كانت عاشوراء محطة تأكيد لإقامة الدين وللحفاظ عليه ولاعتماد أحكامه ولتطبيق تشريعاته، وكذلك ستكون عاشوراء اللاحقة محطة لنشر الإسلام ولإظهاره على الدين كله، ولإثبات حقيقة انه دين الكمال والتمام والرشد والمنطق والحق.

**ثانياً: من حيث طبيعة الأنصار**، فقد شكلت عاشوراء الحسين عليه السلام لوحة خالدة بفعل عناصرها الذين شاركوا فيها، فكان فيها من كل التشكيلات العمرية والاجتماعية والدينية والمناطقية، ففيها الصغير والكبير والحر والعبد والغني والفقير والعراقي والحجازي واليمني والشامي وفيها الأبيض والأسود والهاشمي والعامي والذكر والأنثى والشاب والشيخ والطفل الصغير والشيعي ومن كان عثماني الهوى والمسلم ومن كان مسيحياً، وسوى ذلك من تشكيلات، وكذلك عاشوراء المهدي عليه السلام سوف تشكل لوحة ضخمة وجميلة في طبيعة تشكيلات الأفراد الذين سيشاركون في عملية إظهار الدين ونصرته وإزالة الباطل والفساد عن هذه الأرض، فقد وردت الروايات

الصحيحة حول طبيعة هؤلاء الأنصار الذين ينتمون تقريباً إلى معظم الدول الإسلامية إن لم نقل العالم والذين يشكل قادتهم طليعة عمرية واحدة إلا انهم كأنصار متفاوتو الأعمار، وأيضاً سيكون فيهم الذكر والأنثى وفيهم ومن كان نصرانياً ثم يلتحق بنبي الله عيسى عليه السلام وفيهم من كل الأجناس والألوان والطبقات الاجتماعية حيث ورد أنهم يكونون من دول مختلفة وانهم يتوزعون لاحقاً على مناطق العالم كافة.

**ثالثاً: من حيث خريطة النهضة**، فقد خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، وبعد موسم الحج أو أثناءه خرج من مكة إلى العراق، ووصل إلى كربلاء وهناك حصلت النهضة وكانت الشهادة الكبرى، وبعد ذلك خرج الحسين عليه السلام برأسه مع السبايا إلى الشام حيث كانت محطته الأخيرة، وعلى مستوى الخريطة الزمنية فقد خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة في أواخر شهر رجب، وبقي في مكة أربعة اشهر وخرج منها في منتصف ذي الحجة تقريباً ووصل إلى كربلاء بين ٢ ـ ٨ محرم وكانت النهضة والشهادة في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ.

## وكذلك ستكون النهضة المهدوية:

يخرج الإمام المهدي عليه السلام من المدينة (وبالتحديد من البقيع) إلى مكة ويسند ظهره إليها ويجتمع أنصاره حوله ويسير من هناك إلى كربلاء ويزور قبر الحسين عليه السلام ثم يتوجه إلى الشام إلى حيث مقام السيدة زينب عليها السلام وتبقى المسافة الباقية التي لم يقطعها الإمام الحسين عليه السلام هي المسافة بين الشام وفلسطين مروراً بطبريا حيث

يقتل الإمام المهدي عليه السلام السفياني على شاطئها على ما ذكر في بعض الروايات.

وعلى المستوى الزمني يخرج السفياني في رجب وتحصل الصيحة في شهر رمضان المبارك وتقتل النفس الزكية في نفس تاريخ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة خائفاً يترقب ويخرج الإمام المهدي عليه السلام يوم العاشر من محرم ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام، في سنة وترية كما كانت شهادة الحسين عليه السلام.

## محطات الإسلام العظيم

سوف يمر الإسلام العزيز بأربع محطات تاريخية حاسمة يتبع بعضها بعضاً ويكون للاحقة منها علاقة بالسابقة، وكل منها تؤسس لما يليها وهذه المحطات هي:

١ ـ محطة التسمية أو التأسيس على يدي نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث هو المطلق للتسمية ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو الذي أسس الدين الحنيف، دين التوحيد وهو المؤسس للحج الإبراهيمي من خلال المناسك التي قام بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، من الطواف والسعي والصلاة وغيرها.

٢ ـ محطة التنزيل والتبليغ على يدي نبي الله محمد صلى الله عليه وآله حيث التشريع للدين الحنيف التام الكامل الشامل، وقد تم بالفعل قبل نهاية حياة النبي صلى الله عليه وآله التبليغ بكل الأحكام الأساسية التي كملت بالولاية للائمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ محطة التقويم لمسار الرسالة بعد الانحراف الطارئ، والذي

كاد أن يقضي على ذلك الإنجاز التاريخي الإلهي والإنساني المتمثل بالإسلام لولا نهضة الإمام الحسين عليه السلام أي محطة عاشوراء.

٤ ـ محطة الانتشار والظهور للإسلام على الدين كله وعلى كل العباد والبلاد، وهذا سيتم على يدي الإمام المهدي عليه السلام.

وإن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام حفيده محمد صلى الله عليه وآله وان أول الناس بمحمد سبطه الحسين عليه السلام «حسين مني وأنا من حسين»، وإن أولى ا لناس بالحسين عليه السلام حفيده المهدي عليه السلام «يا لثارات الحسين».

# دور الأئمة (عليهم السلام) بعد عاشوراء

## مقدمة

عاش الأئمة عليهم السلام ما يقارب مائة وخمس وتسعين عاماً بعد عاشوراء وقد توزعت هذه الفترة الزمنية على خلافة تسعة أئمة ابتداءً بالإمام السجاد وانتهاء بالإمام العسكري عليهم السلام، وقد عاصر هؤلاء الأئمة العهدين الأموي والعباسي وعايشوا مراحل من القمع والاضطهاد لهم ولشيعتهم كما رافقوا مسيرة التقدم العلمي والفلسفي التي حصلت إبان العصر العباسي لا سيما في عهدي الرشيد والمأمون، وواكبوا عملية التمازج الحضاري الذي حصل بفعل دخول الفلسفات اليونانية وغيرها إلى عالم المسلمين نتيجة التواصل بين الشعوب، وكذلك عاينوا عن قرب تلك الانحرافات الفكرية فضلاً عن السلوكية والعملية في حياة المسلمين والتي كانت إما ذاتية وإما بفعل ذلك التمازج والتداخل الحضاري مما يعني ترتب جملة من الاستحقاقات التي عايشها الأئمة عليهم السلام وكان لا بد لهم من التصدي لها وفقاً لمنظومة الأهداف والأولويات التي حكمت عملهم والتي يمكن استفادتها من مجموع سيرتهم المترابطة حيث يتصدر وجود وحضور وبقاء الإسلام طليعة الأهداف والأولويات التي حكمت إي

موقف من مواقف المعصومين عليهم السلام، فقد كان هذا الهدف هو المظلة التي حضنت كل مسيرتهم على امتداد ما يقارب قرنين ونصف من الزمن، والى جانب هذا الهدف ترتبت مجموعة أولويات منسجمة مع الهدف لا تتعارض معه، إلا أنها قد تتعارض فيما بينها فكان الأئمة عليهم السلام يقدّمون الأهم على المهم تبعاً لعلاقة كل أولوية مع الهدف شدة أو ضعفاً، وكانت هذه الأولويات هي التالية:

١ ـ أولوية حفظ الإمام المعصوم.

٢ ـ أولوية حفظ الأمة من خلال وحدتها وقوتها.

٣ ـ أولوية حفظ المؤمنين لا سيما خيارهم.

إذن الهدف هو الإسلام وجوداً وتحكيماً وإقامةً، والأولويات الثلاثة يتم تقديمها أو تأخيرها تبعاً لعلاقتها بالهدف، فلو كان بقاء المعصوم يحافظ على بقاء الدين يتم تقديمه، ولو كان بقاء الدين يقتضي شهادة المعصوم كان يتم تقديم الإسلام على حياة المعصوم، وهذا ما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام، ولو كانت وحدة الأمة وسلامتها وقوتها هي التي تتناسب مع بقاء الدين لتم تقديمها على أي مصلحة أخرى وهذا ما حصل مع الإمام علي عليه السلام عندما قال لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولو كان حفظ خيار المؤمنين هو الذي يتناسب مع بقاء الحق والدين لتم تقديمه وهذا ما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام في الصلح الذي أبرمه مع معاوية.

إذن تقدير تقديم أي أولوية من هذه الأولويات يرجع إلى مدى العلاقة تبعاً لظروف الزمان والمكان لهذه الأولوية مع الهدف الأصل الذي هو بقاء الدين وسلامته.

## الأدوار الأساسية التي قام بها الأئمة(ع) بعد عاشوراء

### على المستوى السياسي:

بالرغم من دفعهم عن حقهم، وعدم ممارستهم لمسؤولية الحكم المباشرة فإن الأئمة عليهم السلام لم يتخلوا عن المشاركة في الحياة العامة للمسلمين رغم الظروف القاسية التي مروا بها والتي نشأت من محاولة الخلفاء المتعاقبين إبعاد الأئمة عن الناس لعلمهم جميعاً بحق أئمة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة لذا كانت الممارسات تتسم بالحصار والتضييق والخناق ومراقبة التحرك والوضع في الإقامة الجبرية والمنع من المشاركات الجماهيرية إلا تحت رعاية الخليفة والسلطان ومع ذلك كله كان للائمة عليهم السلام دور في الحياة السياسية تَمَثَّل بما يلي:

أولاً: القيام بكل إجراء يمنع من إعطاء الشرعية لأي خليفة وعدم القبول بأي عمل أو موقف من قبل الموالين يمكن أن يؤدي إلى إضفاء الشرعية ولو النسبية على النظام الظالم وحتى الإمام الرضا عليه السلام عندما وافق مرغماً على القبول بولاية العهد، كان قبوله بعد تعهد المأمون له بعدم إشراكه في إدارة شؤون الخلافة وعدم التدخل في تعيين الولاة أو عزلهم ولا في القضاء ولا في إسكات وإخماد الاضطرابات التي قامت ضد السلطة.

ثانياً: العمل على تخفيف مفاسد السلطة قدر الإمكان من خلال السماح أو السعي لإدخال أناس مأمونين موثوقين إلى بعض الوزارات أو الإدارات من أجل خدمة المؤمنين وتيسير أمورهم وكذلك السعي إلى إقامة علاقات من قبل المعصوم مع بعض الأفراد النافذين في

السلطة من دون الدخول في سلطانهم وتحت نفوذهم (وهذا ما حصل مع الإمام الهادي عليه السلام).

**ثالثاً**: العمل على تنظيم صفوف الموالين والتواصل معهم وحل مشاكلهم والرد على أسئلتهم وتقبل خمسهم ونذورهم وتفقد أوضاعهم وأحوالهم من خلال منظومة أو شبكة علاقات ذات طابع سري انعكست في بعض القراءات التاريخية التي اعتبرت الشيعة تياراً باطنياً خصوصاً إذا أضيفت هذه السرية في التشكيلات إلى التقية التي مورست خلال عقود من الزمن.

## على المستوى الفكري والعلمي

عمل الأئمة عليهم السلام خلال هذه الفترة من الزمن على تحقيق ما يلي:

١ ـ نشر الفكر والثقافة الإسلامية الصحيحة.

٢ ـ الرد على الشبهات والأباطيل.

٣ ـ تبيان الأحكام الشرعية للناس.

٤ ـ تفسير القرآن الكريم وتبيان مفاهيمه.

٥ ـ التصدي لعلماء السلاطين ولمحاولاتهم شرعنة الظلم.

٦ ـ إقامة المدارس العلمية وتخريج التلامذة والرواة.

٧ ـ التصدي للعلوم العصرية من أجل إظهار قوة الإسلام.

٨ ـ التصدي لحالات الزندقة والإلحاد التي بدأت تغزو بلاد المسلمين.

## على المستوى التربوي

عمل الأئمة عليهم السلام على تقديم النموذج الرسالي الكامل، الذي يتمتع بالفضائل والسمات الأخلاقية الإسلامية الرفيعة والذي يعتبر المثال الذي يجب أن يقتديه المسلم في حياته خصوصاً مع تصاعد الحاجة إلى هذا المثال بفعل الانغماس في عالم الدنيا من قبل السلاطين ووعاظهم وحاشيتهم، مما اثر في اندفاع الناس نحو الدنيا وملذاتها وبالتالي الابتعاد عن الآخرة وعن الروحانية وعن الارتباط بالغيب.

ومن جملة ما قام به الأئمة عليهم السلام خلال هذه الفترة تعويد الناس على الدعاء والابتهال إلى الله وربط أمورهم به والتوكل عليه، ولأجل هذه الغاية كانت كتب الأدعية وكانت الأحاديث الأخلاقية وكانت رسائل الحقوق وكانت روايات الأدب والفضائل والسنن التي وردت عن الأئمة عليهم السلام، حيث أدركوا عليهم السلام بأن إحدى المشاكل التي ابتلي بها المسلمون هي الابتعاد عن روح الإسلام واكتفائهم بمظاهره، وكان لا بد من محاولة لإرجاع الناس إلى جوهر دينهم.

## دور الأئمة(ع) خلال هذه الحقبة في التمهيد لصاحب الزمان(ع):

يمكن القول باختصار أن دور الأئمة عليهم السلام خلال ما يقارب القرنين من الزمن كان يشابه إلى حد كبير دور الإمام الحسن عليه السلام في التمهيد لنهضة الحسين عليه السلام في عاشوراء، فكما أن الإمام الحسن عليه السلام أتاح الفرصة وهيأ الأسباب من خلال الصلح الذي قام به مع معاوية من أجل حلول الظرف المؤاتي للقيام بنهضة عارمة على الظلم والفساد والانحراف تلك السمات التي صبغت حكم بني أمية،

إلا إنها ظهرت جلية في النموذج الأسوأ منهم وهو يزيد، وكذلك الأمر بالنسبة للائمة الثمانية بعد الإمام الحسين عليه السلام حيث عملوا على تهيئة الظروف وتربية الأنصار وحمايتهم وحشد الأفكار وبناء التعاليم ومراكمة آثار الخير ودفع الباطل بقدر الإمكان كل ذلك من أجل الوصول إلى اللحظة المناسبة للانقضاض على الباطل من أجل زهقه ومحوه من الوجود على يدي الإمام الثاني عشر عليه السلام.

ومن جملة الأمور التي عمل خلالها الأئمة عليهم السلام على التمهيد لصاحب الزمان عليه السلام هي التالية:

١ ـ المساهمة في رعاية الحق وحفظه وصيانته ورفع وتيرته في الوجود.

٢ ـ المساهمة في تزايد عديد أهل الحق وفي حمايتهم والحفاظ على وجودهم وكذلك على استقامتهم ومنعهم من الانحراف.

٣ ـ العمل على تقليص نسبة الباطل والمنكر والفساد ما أمكن.

٤ ـ ترك السنن تأخذ مجراها من خلال التدافع بين الناس لا سيما الظالمين وعدم القيام بعد عاشوراء بأي نهضة يمكن أن تكون لصالح الباطل، حيث لم تحن الظروف المؤاتية لإقامة الحق واستلامه زمام الأمور.

٥ ـ توجيه أهل الحق لنشر فكرهم في الاتجاهات المختلفة والاستفادة من الظروف المؤاتية لإيصال هذا الفكر إلى عوالم جديدة.

٦ ـ السعي لنشر أهل الحق الموالين في الأمصار والبلدان المختلفة بحيث لا يبقى طرف من أطراف بلاد المسلمين إلا ويوجد

فيها من الموالين لا سيما في بلاد الشام التي كانت ثغرا هاما من ثغور المسلمين، كما أن الناس فيها عرفوا الإسلام من خلال بني أمية بالأولى لهم أن يعرفوه على حقيقته.

**وفي الخلاصة يمكننا أن نقرر ما يلي:**

يعتبر كل إمام من الأئمة المعصومين وكل ولي من الأولياء الصالحين وكل عالم من العلماء الربانيين وكل شهيد من الشهداء المجاهدين خلال فترة القرنين اللذين أعقبا نهضة عاشوراء بمثابة الممهد للإمام المهدي عليه السلام من خلال نسبة الحق الذي ركزه وبناه ونسبة الباطل الذي دفعه ومحاه كل واحد منهم.

وكذلك الحال بالنسبة للعلماء والشهداء والمجاهدين الربانيين في الفترة التي أعقبت غيبة الإمام المهدي عليه السلام وما زالت هذه المهمة قائمة إلى اليوم. فإن لكل مؤمن يمر على هذا العالم دوراً في التمهيد لصاحب الزمان عليه السلام من خلال إضافة لبنة حقانية إلى عالم الوجود تساعد من خلال وضعها إلى جانب مثيلاتها في بناء الصرح الذي سيعتليه المهدي عليه السلام للانطلاق في دعوته ونهضته العالمية.

# فلسفة غيبة الإمام المهدي (عج)

١ ـ فلسفة الغيبة الصغرى ودواعيها.

٢ ـ أسباب الغيبة الكبرى:

ـ عدمة إمكانية القيام.

ـ عدم إمكانية الرفع.

ـ عدم إمكانية الظهور.

٣ ـ فلسفة الغيبة الكبرى.

ـ التفسير الإنساني.

ـ التفسير الديني.

ـ التفسير التاريخي.

## فلسفة الغيبة الصغرى ودواعيها

كان للإمام المهدي عليه السلام غيبتان، الأولى سميت صغرى وامتدت على مسافة سبعين سنة بين عامي ٢٦٠ و٣٣٠ هـ وكانت صغرى من جهتين: الزمان والكيفية، فالزمان انحصر في سبعين عاماً والكيفية للغياب لم تكن تامة فقد كان التواصل بين الإمام ومواليه يتم

عبر وسائط أطلقت عليهم تسمية السفراء وكانوا أربعة خلال مدة الغيبة الصغرى.

أما في الحديث عن فلسفة هذه الغيبة أو دواعيها، فلا بد من الرجوع إلى اصل الدين وقوامه، فالله سبحانه وتعالى جعل الدين شرعة ومنهاجاً والشريعة في الإسلام أساساً هي القرآن أما المنهاج الذي يمثل ظهير الشريعة ومتممها يتحقق في أمرين:

١ ـ الشخص القيم على تطبيق الشريعة والمجسد لها في شخصه وسلوكه والحامي عنها بجهاده ورساليته.

٢ ـ النظام الذي يساهم في إقامة الشريعة، والذي فيه قوام حياة الناس وقيامهم على أن يكون النظام والقيام بالقسط تبعاً لفهم هذه الأولوية التي تساوق النظام وتتماهى معه.

أما بالنسبة للنظام وجوداً وعدماً، قسطاً أو جوراً فإنه مرتهن لإرادة الناس فهم الذين يتحكمون في توفير الشرائط اللازمة لقيامه، ويأتي الناظم أو الوالي الإلهي ليكمل ما أسس له الناس من بنيان وما حققوه من شرائط، ومع عدم قيام الناس بمسؤولياتهم فإن الناظم لا يملك إرادة إقامة النظام بالقوة أو بالمعجزة أو بالولاية التكوينية فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وعندما تصل النوبة إلى الحد الذي لا يستطيع فيه الناس أو لا يريدون فيه أن يوفروا الظرف المؤاتي لبقاء الإمام المعصوم على وجه الأرض فالله سبحانه وتعالى لن يفرض عليهم ذلك، إلا أنه في الوقت نفسه لن ينزع وليه من الأرض حفاظاً لها ولأهلها من الهلاك، من هنا وقياساً إلى الظروف التي سنتحدث عنها لاحقاً كان لا بد من غياب الإمام عليه السلام، هذا الغياب الذي لم

يعهده الموالون من قبل لا من جهة الموضوع ولا من جهة التكليف، فموضوعاً هم اعتادوا على رؤية الإمام أو الحديث عن رؤيته أو الحديث عن إمكانية لقائه، ومن جهة التكليف اعتادوا على اخذ التكليف مشافهة أو بالواسطة منه،ولأجل ذلك ومع فرض الظروف لغياب تام للإمام عن الأنظار كان لا بد من تمهيد لذلك من خلال غيبة صغرى تؤسس لأمرين:

- الاعتياد من قبل الموالين على عدم رؤية الإمام.

- الاعتياد من قبل الموالين على الرجوع إلى غير المعصوم.

فالإمام عليه السلام سوف يوجه اتباعه للعودة في الحوادث الواقعة إلى رواة الحديث الموثوقين ممن تتوفر فيهم شرائط العلم والورع والقدرة على تحمل المسؤوليات الجسام فكانت الغيبة الصغرى التي حققت أهدافها من خلال احتجاب المعصوم عليه السلام وعودة الناس في تلك الفترة إلى سفراء ووكلاء من غير المعصومين.

## أسباب الغيبة الكبرى

حصلت الغيبة الكبرى مباشرة بعد انتهاء الغيبة الصغرى عام ٣٣٠ وما زالت مستمرة إلى أن يأذن الله بالفرج لوليه من خلال صناعة تلك اللحظة المؤاتية للخروج والتي فيها إرادة الله التي تقدر وإرادة الناس التي تهيئ الأسباب، ويمكن القول بأن للغيبة الكبرى ثلاثة أسباب رئيسية هي التالية:

١ ـ **عدم إمكانية القيام**: إن الهدف المشترك الذي عمل له أئمتنا عليهم السلام على مدى عشرات السنين هو السعي لإقامة الدين وتطبيقه

بين الناس، وفي حال لم يقدروا على ذلك فلا أقل من الحفاظ على الدين وجوداً وماهية، وفي حال استدعى بقاء الدين تقديم الإمام المعصوم لنفسه، كان ذلك يحصل من خلال القيام بالنهضة التي تؤدي بالنهاية إلى شهادة المعصوم كما حصل مع سيد الشهداء عليه السلام، وان تقديم وجود الدين مبني أيضاً على إمكانية استمرار أداء واجب الحفاظ عليه بوجود الوالي الذي يكمل دور الإمام السابق، أما لو كان غياب المعصوم غياباً كلياً لا يتبعه وجود لمعصوم آخر فإن الأمر يختلف، فلا قيمة لوجود الشريعة بدون المنهاج، فلا بد أن يبقى المعصوم، من هنا وفي مثل الظروف التي عاشها الإمام المهدي عليه السلام كان القيام سيؤدي إلى قتل الإمام وشهادته، فالوقائع لم تكن مؤاتية لجهة الأنصار والموالين والمناخ العام للناس من أجل تحقيق النصر، والإمام المهدي عليه السلام لا يمكن أن يقوم بثورة إلا بشرط تحقيق النصر، فلا مجال لتكرار نموذج عاشوراء على الأقل لأن عاشوراء استمرت وتواصلت من خلال الأئمة من ولد الحسين عليه السلام أما شهادة الإمام المهدي عليه السلام لو حصلت فكيف ستتواصل أهداف نهضته وثورته، إذن لم يكن هناك إمكانية للقيام، لأن أي قيام للإمام المهدي عليه السلام يجب أن يحقق النصر، وشروط النصر غير متوفرة لذا لا يمكن القيام بالثورة.

٢ ـ **عدم إمكانية الرفع**: إذا كانت شروط الثورة والقيام غير متوفرة وإذا كانت أسباب النصر غير ناجزة وإذا كان حضور الإمام سيعرضه للخطر، فلماذا لم يلجأ الله تعالى لرفع وليه وحفظه تحت رعايته إلى حين تنجّز المقدمات الضرورية لنهضته الإلهية كما حصل

تماماً مع نبي الله عيسى عليه السلام، للإجابة على هذه الإشكالية، نرجع إلى أصل هام هو ضرورة عدم خلو الأرض من حجة لله إما ظاهراً مشهوراً وإما غائباً مستوراً إلا أنه في كلا الحالتين يبقى في الأرض ولا يرتفع عنها، لأنه لو غاب الإمام الحجة عن الأرض لساخت بمن عليها، فحفظاً للدنيا ولعالمها ولإنسانها ولموجوداتها كان لا بد من بقاء الإمام المعصوم حياً موجوداً على الأرض وعدم رفعه إلى السماء.

٣ ـ **عدم إمكانية الظهور**: إذا كان الرفع لا يتناسب مع الحاجة إلى الوالي المحافظ على الأرض بمن عليها، وإذا كانت النهضة غير مكتملة الشروط والأسباب، فلماذا لا يبقى الإمام عليه السلام على الأرض ظاهراً معروفاً، يتخفى بين الحين والآخر، يمارس أسباب الاحتياط كي لا يتعرض للخطر، كما كان يحصل مع الأئمة عليهم السلام في أوج ظلم بني العباس خصوصاً مع العسكريين الهادي والعسكري عليهما السلام؟، إن الظروف التي كانت قائمة آنذاك هي التي تجيب على هذا السؤال، فحكام بني العباس وفي ظل الضعف الذي بدأ يصيب دولتهم وكيانهم، وفي ظل معرفتهم بأن الحق لأهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم أيضاً بأن آخرهم سوف يثأر للحق ويقيمه، فمع هذه الأجواء كلها سعى آخر خلفاء بني العباس (من المتوكل فصاعداً)، من أجل الضغط على الإمام المعصوم عليه السلام إلى حد حصار الإمام العسكري ووضعه في الإقامة الجبرية ومراقبته في حياته شخصياً للحؤول دون ولادة صبي للإمام يمكن أن يطيح بحكمهم، تماماً كما حصل بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون الطاغية، فمع هذه الأجواء لم يكن مجال لبقاء

الإمام المهدي عليه السلام ظاهراً معروفاً فهو سيلاحق في كل زاوية حتى يكتشف أمره ويقتل، من هنا نفهم الكثير من الإجراءات التي مارسها الإمام العسكري عليه السلام وزوجته الشريفة السيدة نرجس من أجل إخفاء أمر مولودهما وأيضاً نفهم مجموعة الأحكام والتوصيات التي وصلت آنذاك إلى حد تحريم ذكر الاسم الصريح للإمام المهدي عليه السلام.

## فلسفة الغيبة الكبرى

### أ ـ التفسير باللحاظ الانساني:

نحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى بإمكانه أن يفرض الحق بالقوة على الناس، وان يعطي وليه الإذن بأن يقيم الحق على الأرض ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون لكن ذلك لو حصل يكون بمثابة الإكراه في الدين ومخالفاً للأمر الإلهي وللسنة الإلهية القائمة على جريان الأمور تبعاً لأسبابها الطبيعية، فالله سبحانه يتدخل عندما تصل النوبة إلى التهديد لدينه أما ما عدا ذلك فإنه يترك الأمور تأخذ مجراها تبعاً للإرادة الجمعية للبشر، وإذا وقفنا عند تلك اللحظة حيث غاب الإمام المهدي عليه السلام وافترضنا عدم الغياب وأن الإمام سيقيم الحق على الناس كرهاً فإن ذلك سيؤشر إلى نهاية عالم الإنسان، أي بمثابة القيامة، فما هي الحاجة إلى بقاء الدنيا بعد فرض قيام الحق، أي أن تلك اللحظة ستتحول إلى نهاية العالم والإنسان وبها سيحصل القضاء على الحياة الإنسانية قبل بلوغها أقصى المدى المقرر لها، فالإنسان لم يكمل تجربته الشخصية تبعاً لمنظومة إرادته وفهمه وذوقه وتطلعاته، ومن الظلم بمكان أن تقتل هذه المنظومة ويفرض عليها خلاف ما تبتغيه لأن هذا الأمر لو تحقق لانتفت الحاجة منذ البداية إلى سلسلة

الأنبياء والرسالات، طالما أن الله سبحانه سوف يصل إلى اللحظة التي يفرض فيه نفسه ودينه على الناس فلتكن هذه اللحظة هي البداية ولماذا ستكون هي وسط الدنيا أو في أواخرها، وبناءً عليه فإن فرض الحق هو بمثابة القيامة والإعدام للإنسان وعالمه والمنع له من إخراج ملكاته وتجسيد مكنوناته من خلال المصادرة للحجة الباطنة عند الإنسان والمتمثلة بعقله هذه الحجة التي يفترض أن تأخذ دورها الطليعي في مرحلة الغيبة الكبرى من أجل وصول الإنسان طوعاً إلى الحق ومن أجل إكمال إعمار الكون والوصول إلى أقصى ما يمكن أن يصله الإنسان باستخدام عقله وفكره، فغيبة الإمام عليه السلام هي الفرصة التي أتاحها الله سبحانه للإنسان من أجل أن يعمر الإنسان الكون ويستخدم أقصى طاقاته ويكون في هذه المرحلة مصاناً برعاية الإمام عليه السلام من جهة ومطالباً بالعودة إلى الحق المتماهي مع فطرته والذي هو الإجابة الحقيقية لنداء العقل من جهة ثانية.

### ب ـ التفسير باللحاظ الديني:

لغيبة الإمام المهدي عليه السلام تفاسير دينية كثيرة، ذكر منها أن الغيبة تأسيس للاجتهاد ولولاية غير المعصوم: فمن جهة الاجتهاد ومساوقة لقضية الإفساح بالمجال أمام العقل البشري ليثبت دوره وفعاليته كان الأمر بالعودة إلى رواة الحديث على قاعدة أن النص الشرعي قد اكتمل وان الحلال والحرام بالمعنى الأولى الثابت قد تم إظهارهما وان أي حكم سواء كان تقية أو ضرورة أو ثانوياً أو أولياً تبعاً للاجتهاد كل هذه الأحكام لا تضر بالحلال والحرام الأوليين وبالتالي فإن الاجتهاد لا يخل بأصل الشريعة بل على العكس تماماً

فإن هذا الاجتهاد يسلط الضوء على حقيقة هامة هي قدرة هذه الشريعة على مواكبة الإنسان في مسيرة حياته وإجابتها على كل تساؤلاته ووفائها بكل متطلباته.

وإذا كانت الشريعة قد تمثلت في عصر الغيبة بالفتوى للفقيه أي بالاجتهاد الموصل إلى الفتوى إذن فما هو قسيم الشريعة في عصر الغيبة أي ما هو الممثل للمنهاج؟ إما انه قد انتفى، وهذا ما يضر بتمامية تحقيق الدين، فلا يمكن إقامة الدين بلا منهاج أو إننا نقول بعدم الحاجة إلى قيام الدين في عصر الغيبة كما يقول بعض المشتبهين أو الضالين، أما مع القول بضرورة إقامة الدين وتوفير الظروف المؤاتية لذلك على الدوام لا يمكن إلا الحكم بولاية الفقيه التي تمثل قسيم الشريعة في عصر الغيبة سواءً قلنا بالجمع بين الولاية والمرجعية أم بالفصل بينهما، فعلى كل حال لا بد من القول بولاية الفقيه التي تتمم مسألة الاجتهاد وتجعل أمر إقامة الدين متاحاً.

ج ـ التفسير باللحاظ التاريخي:

لقد بدأت ا لغيبة الكبرى سنة ٣٣٠ هـ لكنها (هذه الغيبة) ليست أبدية، أي إن لها نهاية وأيضاً هذه الغيبة محكومة في البداية والنهاية بمسار له طرفان يشد في كليهما الإنسان وتتدخل إرادته في سرعة أو بطء الوصول إلى الطرف الأخير وذلك تبعاً لمدى اقتراب أو ابتعاد الإنسان عن ماهية الهدف الذي سيتحقق في الطرف الأخير والمتمثل بإقامة الحق والعدل والقيم على هذه الأرض، أي إن السياق التاريخي للغيبة أو التفسير التاريخي لها مرتبط بالصراع القائم والناشئ بين الحق والباطل في الإنسان وعالمه وفي كيفية تبلور هذا الصراع وتجسده من

حيث المصاديق والظروف فالمطلوب هو الوصول إلى اللحظة التاريخية التي يبدأ فيها الباطل بالاضمحلال بفعل نبذه من قِبل الإنسان ويبدأ فيها الحق بالسطوع بفعل قرب الإنسان منه والانجذاب إليه، حيث يمثل الموقف آنذاك صراعاً حاسماً بين الحق في أعلى صوره والباطل في أعلى صوره، ويحتاج الموقف آنذاك إلى تدخل إلهي يقوي موقف الإنسان وتوجهه نحو الحق تلك اللحظة المصيرية هي المؤاتية لخروج شخص يمثل تمامية الحق ويكون قادراً على استثمار ذلك التوجه الإنساني نحو الحق ليحمله ويرفعه وينشره ويظهره على الأرض وعالم الإنسان ويمكن اعتبار هذا التفسير جزءاً من التفسير الإنساني السابق لكن من جهة التوجه نحو الحق.

# دور الممهدين في صناعة أسباب الظهور

١ ـ تشخيص اللحظة التاريخية للظهور.

٢ ـ الحاجة إلى الممهدين في تهيئة أسباب الظهور.

٣ ـ من هم الممهدون والانصار الاساسيون.

٤ ـ أهمية الطموح لبلوغ أعلى مراتب النصرة.

٥ ـ مواصفات الأنصار بلحاظ المهام.

## أولاً: تشخيص اللحظة التاريخية للظهور

إن حركة التاريخ بحسب ما تبين معنا سابقاً وبحسب التفسير الإسلامي القرآني تخضع لعدة عوامل هي:

١ ـ التناقض الذي يفرض صراعاً بين الحق والباطل.

٢ ـ التدافع في المصالح بين الناس خصوصاً بين أهل الباطل الذين يمتلكون مقومات تصلح لأن تكون سبباً للنزاع والتخاصم.

٣ ـ المدد الغيبي الإلهي الذي يحصل تارة بإشغال الظالمين بعضهم ببعض (أي من خلال السنن) وتارة أخرى بالتدخل المباشر

لحماية الحق عندما تصل النوبة إلى تشكل الخطر الكبير على اصل وجود الحق (وهذا ما كان يحصل مع الأنبياء في مواجهاتهم).

هذه العوامل إذا أضيفت إلى أصالة الحق في الإنسان وأصالة النقاوة لفطرته التي تشكل تغذية ولو غير مباشرة لمحور الحق في صراعه المستمر مع الباطل فإن ذلك يفضي للنتائج والحقائق التالية:

**أولاً:** ما يساهم في تقوية الباطل هم أهله لا حقيقته فالباطل أمر عدمي واعتباري ويتحول إلى قوة من خلال الدعم الذي يتلقاه من أهله الملتفين حوله.

**ثانياً:** ما يساهم في تقوية الحق أمور عديدة وذلك على خلاف اعتقاد الكثيرين بأن قلة أهل الحق هي سبب دائم ومتواصل لضعف الحق وانحساره في حين أن الحقيقة مخالفة تماماً وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إن قوة الحق ذاتية من جهتين، فالحق في الأرض ظل الله وفيضه وانعكاس إرادته من جهة ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، وأيضاً الحق هو الماهية الأصلية للإنسان من جهة ثانية ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

٢ ـ إن انشغال أهل الباطل بأنفسهم وتنافسهم على المصالح وعلى أسباب القوة يساهم في إضعاف هؤلاء وتالياً ضعف الباطل الذي يمثلونه وفي المقابل يؤدي إلى حماية الحق ونأيه عن الأخطار. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ...﴾ (الحج ـ ٤٠)

٣ ـ إن المدد الغيبي يساهم في تقوية مواقع الحق ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ (آل عمران ـ ١٦٠) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا. . .﴾ (غافر ـ ٥١).

وفي الخلاصة فإنه مع التقدم في الزمان سوف يضعف الباطل تدريجياً وسوف يزداد الحق إشراقاً وسطوعاً إلى حين بلوغ المحطة التاريخية المنتظرة التي يصل فيها الباطل إلى أضعف نقطة له بعد أن يكون قد بلغ أقصى مداه والحق إلى أقوى نقطة له منذ بداية الخليقة، وعندها يلتقي الطرفان في صراع حاسم، المنتصر فيه سوف يحكم هذا العالم، فتكون النصرة للحق ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وهذه اللحظة المصيرية التي على أساسها سيتم تحديد مصير العالم بحاجة إلى الشخص الإنسان الذي يقدر أن يتحمل كل التوجه البشري الهائل نحو الحق، ولابد أن يكون هذا الشخص يمثل تمامية الحق في ذاته، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بالمعصوم، والمعصوم موجود إلا انه غائب عن الأنظار فتتشكل الفرصة المناسبة التي تستدعي حضور المعصوم فيحضر ليقوم بمهمة حمل لواء الحق ونشره على الكون كله.

## ثانياً: الحاجة إلى الممهدين في تهيئة أسباب الظهور

إن مسألة الظهور في أبعادها الأساسية ترتبط بالإنسان وبالتاريخ وهي محكومة بحسب الظاهر لأسباب طبيعية ترتبط بمدى جهوزية الإنسان ليتحمل حدث الظهور ونتائجه، فهناك تاريخ جديد سوف يؤسس على أعقاب الظهور، حيث يحكم الله سبحانه وتعالى الأرض من خلال وليه وبعد ذلك لا حكم لغير الله ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ وإن علة القول بأن مسألة الظهور تخضع للأسباب الطبيعية

ومرتبطة بالإنسان ومدى استعداده، فذلك يعود لنقض العكس، حيث إن فرض كون الظهور مسألة إلهية بحتة فإن ذلك ينفي الحاجة إلى هذا الغياب للإمام المعصوم، فمنذ تلك اللحظة كان بالإمكان فرض قيام الإمام بالثورة وإقامته لحكومة العدل الإلهي، لكن طالما أن الإنسان وظروفه لم تكن مهيأة لذلك فإن الإمام غاب، فالذي يحدد الطَرف الآخر لفترة غيابه أي الذي يساهم بشكل كبير في إنهاء عملية الغياب هم البشر كما كانوا السبب في الغياب ونخص منهم الممهدين الذين أنيطت بهم مهمة تهيئة الأسباب لعملية الظهور وذلك من خلال الأدوار التالية:

١ ـ الحجية على الناس في موضوع اتباع الحق.

٢ ـ تقوية مواقع الحق ونشره بين الناس.

٣ ـ حماية الحق وأهله.

٤ ـ دفع الباطل ومحاربته.

هذه المهام مجتمعة تساهم في الوصول إلى ذلك الزمن الذي يقوى فيه الحق ويتقلص فيه الباطل وتتوجه أنظار الناس فيه نحو إشراقة وجه الحق (الإمام المهدي عليه السلام).

## ثالثاً: الممهدون والأنصار الأساسيون

طالما قلنا بأن مهمة تهيئة أسباب ومقدمات الظهور تقع أساساً على عاتق الممهدين الذين هم أناس مؤمنون موالون منتظرون لإمام زمانهم عاملون وفق إرادته وما يرتضيه، فالسؤال الأول من هم هؤلاء الممهدون من جهة الرايات(الجماعات) لا من جهة الأفراد ومواصفاتهم (التي ترد في البحث اللاحق).

تحدثت الروايات عن مجموعات من الممهدين أهمهم:

## ١ ـ رايات المشرق/ الرايات السود/ أهل قم/كنوز طالقان:

كلها تشير إلى المؤمنين الفرس أو العجم الذين يمهدون للإمام دولته ويوطئون له خروجه، لا سيما الأخبار الواردة عن رجل من أهل قم..

ومن الروايات الواردة عن دور العجم في التمهيد لإمام الزمان عليه السلام:

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج ناس من الشرق فيطئون للمهدي سلطانه»(١).

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون.. حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي...»(٢).

* عن أمير المؤمنين عليه السلام في حق العجم: «... والذي خلق الجنة وبرأ النسمة لقد سمعت محمداً صلى الله عليه وآله يقول والله ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»(٣).

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «كأني بالعجم قساطيطهم في مسجد الكوفة، يعلّمون الناس القرآن كما أنزل»(٤).

---

(١) كنز العمال.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) نهج السعادة.
(٤) الغيبة للنعماني.

* عن الإمام الكاظم عليه السلام: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد لا تزلهم الرياح والعواصف...»[١].

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحاً للطالقان فإن لله عز وجل فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته، وهم أيضاً أنصار المهدي عليه السلام في آخر الزمان»[٢].

## ٢ ـ أبدال الشام:

* «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»[٣].

مواصفات الأبدال: عن الرسول صلى الله عليه وآله: «إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن إنما دخلوها برحمة الله وسماحة الأنفس وسلامة الصدر ورحمة جميع المسلمين»[٤].

ومما نقل عن أهل الشام ونصرتهم لصاحب الزمان، ما ذكر في آمل الآمل منقولاً عن الشهيد الأول نقلاً عن خط ابن بابويه عن الصادق عليه السلام انه سئل عن أمور متعلقة بآخر الزمان منها عن أوليائه وشيعته المتمثلين أمر أئمتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم؟ قال عليه السلام: بلدة بالشام، قيل يابن رسول الله إن أعمال الشام متسعة؟ قال: بلدة بأعمال الشقيف اوتون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحار

(١) البحار ج ٦٠.
(٢) كتاب الفتوح.
(٣) كنز العمال.
(٤) البحار ج١ ص٨٨.

وأوطئة الجبال، قيل يابن رسول الله هؤلاء شيعتكم؟ قال عليه السلام: هؤلاء شيعتنا حقاً وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لغريبنا والحافظون لسرنا، واللينة قلوبهم لنا والقاسية قلوبهم على أعدائنا وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا، تمحل البلاد دون بلادهم ولا يصابون بالصواعق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعرفون حقوق الله ويساوون بين إخوانهم، أولئك المرحومون المغفور لحيهم وميتهم وذكرهم وأنثاهم ولأسودهم وأبيضهم وحرهم وعبدهم وان فيهم رجالاً ينتظرون والله يحب المنتظرين»[1].

## ٣ ـ عصائب أهل الحق في العراق:

عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... **ويبعث إليه بعث الشام فتنخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه...**»[2].

بناءً على ما تقدم فإن مجموعات الأنصار الأساسية هي: (كنوز طالقان ـ أبدال الشام ـ نجباء العراق).

وإن كان أنصاره بحسب ما ورد ينتمون إلى جميع بلاد المسلمين وهم يتوزعون بين الجنود والقادة والنقباء، فالنقباء اثنا عشر رجلاً والقادة ثلاثمائة قائداً والجنود قد يصل عددهم إلى عشرين مليون جندياً هم تعداد الجيش الذي أمر الإمام الخميني (قده) بتهيئته تحت عنوان جيش المستضعفين في العالم.

---

(١) أمل الآمل ج١ ص ١٥/١٦.
(٢) البحار ج١ ص ٨٨.

## ٤ ـ أهمية الطموح لبلوغ أعلى مراتب النصرة:

مما هو مؤكد أن الفوز بنصرة الإمام المهدي عليه السلام هو فوز لا مثيل له لأن أثره غير مختص بعالم الدنيا، فمن يكتب له التوفيق بهذه النصرة كان في المؤمنين الفائزين يوم القيامة بشكل لا يحتمل الترديد أو التشكيك فنصرة إمام الزمان المفترض الطاعة هي الباب اليقيني للولوج إلى رضا الله تعالى والى الفوز بجنته.

ومن المؤكد أن الإمام المهدي عليه السلام عندما يخرج سوف يحكم بين الناس بحسب الأمر الواقع وكذلك سوف يصنف الناس تبعاً لحقائقهم لا تبعاً لمظاهرهم كما هو الحال بالنسبة لأحكام ولاة الأمر والفقهاء والعلماء في زمن الغيبة حيث يتم الحكم والإفتاء وكذلك التعامل مع الناس والأفراد على أساس الظاهر والبادي من حسنٍ أو قبح، إلا أنه عندما يخرج الإمام عليه السلام فإنه يميز الناس بين المؤمن والكافر ولا وسط بينهما ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ كما انه عليه السلام يصنف أتباعه على أساس مستوياتهم الخُلقية والدينية والعلمية أي على قاعدة المستويات الفعلية لا الظاهرية، من هنا فإن التصنيف للأتباع على يدي الإمام عليه السلام، هو تصنيف أخروي ونهائي، وإن الشهادة التي يحملها المؤمن ويتسلمها من الإمام عليه السلام هي شهادة عن مقامه الفعلي عند الله تعالى أي يوم القيامة، هذا في حال ثبت عليه ولم ينحرف عنه لذا لا ينبغي للمؤمن ان يزهد بالمقام الرفيع عند الإمام عليه السلام وعليه أن يسعى لبلوغ أعلى مراتب النصرة للإمام، وأن يطمح في هذا الزمان لأن يكون من قادة جيش الإمام وان يعد نفسه ويهيئها لهذا المستوى، وليس في ذلك منافسة على دنيا وإنما في ذلك

فليتنافس المتنافسون، صحيح أنه من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، إلا أنه بعد دخول الجنة يبدأ المؤمن بالتفكير بأهمية أن يكون شهيداً أو أن يكون صديقاً أو أن يحشر مع الرسول وأهل البيت عليهم السلام، الأمر هو نفسه بالنسبة لزمن الظهور، حيث يرجو المؤمن أن يفوز بنصرة إمامه لكن بعد ذلك يشعر بأهمية أن يكون من القادة والأنصار الأساسيين عند الإمام عليه السلام هذا الطموح الذي يفرض عليه مجموعة إجراءات تتعلق بدينه وجهاده وعلمه تبعاً للمواصفات التي ستحدد للأنصار لاحقاً.

## ٥ ـ مواصفات الأنصار الحقيقيين تبعاً للمهام:

هناك جملة من القضايا المرتبطة بعضها ببعض هذه القضايا هي:

**أولاً:** إن واجب كل مؤمن في آخر الزمان ولاية إمام الزمان المفترض الطاعة.

**ثانياً:** إن ولاية إمام الزمان عليه السلام الحقيقية تتمثل في الالتزام بنهجه والثبات عليه والنصرة له.

**ثالثاً:** إن نصرة إمام الزمان عليه السلام الغائب تتمثل في الاستعداد للنصرة والتمهيد لها.

**رابعاً:** إن الاستعداد لنصرة إمام الزمان عليه السلام يجب أن تكون متناسبة مع طبيعة المهام التي سيقوم بها الإمام المهدي عليه السلام.

فيتحصل مما تقدم ترتب العلاقة والملازمة بين المهام الموكلة للإمام المهدي عليه السلام وبين طبيعة الاستعداد للنصرة أو طبيعة الأنصار لذا نبدأ أولاً بتحديد المهام.

لقد أوكل الله سبحانه وتعالى إلى خليفته المهدي عليه السلام جملة مهام أساسية أهمها:

١ ـ إقامة دولة العدل الإلهية على هذه الأرض (للمرة الأولى والأخيرة).

٢ ـ إقامة دين الإسلام وإظهاره على الدين كله.

٣ ـ الثأر لجميع الأنبياء والأولياء والمظلومين.

٤ ـ الثأر والانتقام من خصوص الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام لا سيما الزهراء عليها السلام والحسين عليه السلام.

٥ ـ تقويم مسار البشرية والتحول بها من التسافل إلى التكامل.

٦ ـ إقامة الأمن والسلام والطمأنينة على العالم أجمع بما ينتهي إلى استقرار جميع الكائنات والموجودات.

من هذه المهام يمكن استفادة المواصفات الأساسية التالية:

١ ـ الربانية (فالذين سيتشرفون بحمل لواء الله في الأرض هم صفوة عباد الله تعالى الذين يستحقون هذا الشرف العظيم)، والربانية تعني التقوى والورع والاجتهاد في دين الله تعالى.

٢ ـ المعرفة بدين الله تعالى من أجل إظهاره أو المساهمة في إظهاره ويعني ذلك التفقه والثقافة الإسلامية الواسعة.

٣ ـ الجهاد والاستعداد للقتال والتدرب على وسائله من أجل المساهمة في النهضة التي بها سينتقم الإمام عليه السلام من الظالمين والطغاة الذين ظلموا الصالحين على مدى الآلاف من السنين.

٤ ـ العالمية والإنسانية والشمولية في الفكر وفي النظرة إلى الحياة والى الناس وعدم الضيق في الأفق والحشرجة للصدر فالمشروع الذي يحمله الإمام المهدي عليه السلام هو مشروع عالمي إنساني تاريخي يمتد على طول الزمان وعرض المكان.

٥ ـ العلم والوعي والمعرفة والإدارة والقدرة على ممارسة الأدوار المختلفة التي من خلالها يستطيع المساهمة الفعالة في إقامة منظومة السلام والأمن والعدالة على هذه الأرض أي الدولة الإسلامية العظمى مع كل مترتباتها.

وفي الخلاصة يمكن القول بأن المواصفات الأساسية هي:

١ ـ التقوى.

٢ ـ الثقافة الإسلامية.

٣ ـ الجهاد.

٤ ـ العالمية.

٥ ـ العلم والوعي.

وهذه المواصفات يمكن استفادة معظمها من الروايات التي أكدت على أهمية العنصر الأول حيث يعتبر ضرورياً ولاغياً، أما المواصفات الأخرى فيمكن تعويض الخلل فيها حيث يمسح الإمام على رؤوس المحبين لتزداد حلومهم ويرتفع مستوى تفكيرهم.

وفي الخلاصة يمكن القول بأن الارتقاء في هذه المواصفات هو ارتقاء في مستوى النصرة لإمام الزمان أرواحنا له الفداء. فكلما كان

المؤمن اكثر إيماناً وجهاداً وعلماً ووعياً وإنسانيةً كلما كان ارفع مقاماً في النصرة حتى يصل إلى مقام النقباء الاثني عشر الذين يمثلون خيار البشرية من غير المعصومين الذين عرفهم التاريخ منذ آدم إلى آخر الخلائق.

# فلسفة علامات الظهور وتقسيماتها

١ ـ فلسفة علامات الظهور.

٢ ـ نظرة في العلامات وتقسيماتها.

٣ ـ العلامات العامة والبعيدة.

٤ ـ العلامات القريبة (علامات ابتداء عصر الظهور).

٥ ـ العلامات المباشرة والمحتومة(علامات الظهور).

## ١ ـ فلسفة علامات الظهور

**أولاً:** من المؤكد بحسب الروايات أنه بالرغم من الأشراط والعلامات والإمارات التي سوف تسبق حدث الظهور الميمون لصاحب الزمان أرواحنا فداه والتي ستكون مؤشراً ودليلاً على قرب هذا الحدث وعلى حصوله فإن الحالة الإجمالية للناس ستبقى حالة الصدمة وأن السمة العامة للحدث ستبقى سمة البغتة والفجأة وليس في ذلك تناقض فإن هول الحدث من جهة ونوعيته من جهة ثانية يؤكدان عنصر المفاجأة والصدمة بالرغم من الممهدات والمقدمات التحضيرية فالحدث غيبي والناس في سكر الطبيعة والحدث يرتبط برجل الهي

غاب قروناً من الزمن وما يزال على قيد الحياة، والحدث تغييري لا على مستوى أمة أو مجموعة بشرية وإنما على صعيد الكون والعالم أجمع وسوف تطال آثاره جميع أرجاء المعمورة لذا تلزم الدهشة والصدمة تماماً كما هو الحال التي يصورها الله تعالى في بداية سورة الحج عن هول يوم القيامة، عندما يقول ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ. . .﴾ هذه الحالة الموصوفة في القرآن لا تتنافى مع وجود أشراط كونية للساعة وهي أشراط ضخمة وهامة ترتبط بمتغيرات كبيرة سوف يشهدها العالم والكون في جزئيه الأرضي والسماوي.

**ثانياً: إن لعلامات الظهور فوائد جمة لعموم الناس أهمها:**

ـ التهيئة النفسية والوجدانية لجماهير الناس من أجل التحضّر لاستقبال الحدث الغيبي بما يساهم في التفاعل مع هذا الحدث بعد تقبله بحيث لو حصل الظهور من دون علامات فإن إمكانية التفهم والتعقل له خصوصاً من قبل غير المسلمين ستكون صعبة التوقع والاحتمال.

ـ الدعوة للناس من أجل التوجه إلى عالم الغيب وإلى حضوره في عالم الشهادة هذا الحضور الذي لم يغب لحظة طرف أبداً وإنما الاستغراق في الشهوات هو الذي حال دون الالتفات إلى هذا الغيب الحاضر.

ـ الدعوة للناس وللعباد من أجل التوبة وتحسين الأوضاع وجبر النواقص وتصحيح الخلل في السلوك والعلاقة مع الله تعالى، حيث أن الظهور المبارك هو بمجمله علامة كبيرة على قرب الساعة ويوم

الحساب بما يستدعي التوبة والعودة إلى الله وتعاليم دينه (لأنه في مرحلة الظهور تنعدم فرص التوبة) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

**ثالثاً:** إن لعلامات الظهور أهمية كبرى لخصوص المؤمنين تكمن في تلمّس قرب ظهور الإمام الذي انتظروه طويلاً وفي رقابهم أمانة الولاية له والذي فرض الله عليهم واجب الاستعداد لنصرته والذي يتلهفون شوقاً إلى لقائه والذي طالما أحبوه وعشقوه ودعوه وأرسلوا إليه السلام وتمنوا لقاءه ولو في الرؤيا وهو الإمام الذي كانوا يرفعون إليه طلباتهم وحوائجهم ويبثونه شكاواهم وهمومهم مما يفرض على المؤمنين بعد تحقق العلامات شد العزيمة والإمساك بالسلاح والتأهب للقيام.

## ٢ ـ نظرة في العلامات وتقسيماتها

اهتمت كتب التاريخ والسيرة وبالأخص تلك التي تعرضت لموضوع الإمام المهدي عليه السلام بقضية علامات الظهور وقد فصّلت كثيراً في هذا الموضوع ولشدة اهتمام المؤمنين بالحدث وبما أن علامات الظهور هي مؤشرات للحدث فقد تم تركيز المؤمنين على علامات الظهور وجرت محاولات لتطبيق العلامات في كل مرحلة من الزمن كانت فيها الأمور تشتد وتصعب على المؤمنين إلى حد تطبيق هذه العلامات على بعض المراحل التي لم يكن فيها الإمام المهدي عليه السلام قد ولد أي في أواسط العصر العباسي من هنا يجب التفريق بينْ نوعين من العلامات:

ـ العلامات التي تتحدث عن المستقبل والتي رويت تحديداً عن الرسول الأكرم وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام وقد تعرضت

هذه الروايات لأحداث سوف تحصل في المستقبل بغض النظر عن المسافة الزمنية التي تفصل هذا المستقبل عن وفاة الرسول ﷺ وشهادة الأمير عليه السلام.

ـ العلامات التي تتحدث عن آخر الزمان وظهور الإمام المهدي عليه السلام وهي خاصة بالحدث المبارك.

كما أن علامات الظهور وردت في روايات أو في آيات تم تأويلها بروايات عن أئمتنا عليهم السلام وبالتالي فإن هذه العلامات تخضع لما تخضع له الروايات من بحث في أصل الرواية وفي سندها وفي دلالتها كما أن علامات الظهور هي من الأحداث التاريخية التي وإن صحت الروايات التي ذكرتها سنداً ودلالة فإنها قد تخضع للبداء بناءً على ما يراه الله سبحانه وتعالى من مصلحة أو بناءً على سنة التغيير التابعة للأنفس البشرية هداية وانحرافاً.

وبعد هذه المقدمة نقول إن علامات الظهور والتي تمثل الأحداث التي سوف تحصل من بداية الغيبة الكبرى حتى نهايتها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات تبعاً لعنصر الزمان:

أ ـ العلامات العامة أو البعيدة.

ب ـ العلامات القريبة (علامات ابتداء عصر الظهور).

ج ـ العلامات المباشرة أو المحتومة الدلالة على الظهور (علامات الظهور).

## ٣ ـ العلامات العامة (وهي ذات دلالة بعيدة):

وهي العلامات التي تتعرض لآخر الزمان ولمواصفاته ومواصفات

أهله وللفساد الذي سوف يظهر وللفتن التي سوف تحصل وللحروب التي سوف تنشب وهي علامات عامة وإشارتها إلى عصر الظهور بعيدة لأنها عناوين قابلة من حيث المصاديق للانطباق شدة وضعفاً بحيث يتصور الإنسان المؤمن ومن خلال قراءة بعض النماذج والصور أنها وصلت إلى أقصى درجاتها ثم ما يلبث أن يرى مصاديق جديدة أكثر دلالة وعلقة مع العناوين الأساسية المذكورة خصوصاً تلك المرتبطة بالفساد والظلم ومظاهرهما.

ومن جملة ما يمكن ذكره من هذه العلامات العامة والبعيدة الدلالة والتي تعبر عن المناخ العام الذي يهيئ الأرضية للظهور من دون إمكانية تحديد مستوى الصلة مع هذا الحدث العلامات التالية:

١ ـ انتشار الأمراض والأوبئة.

٢ ـ شيوع موت الفجأة.

٣ ـ قلة الأموال.

٤ ـ الشح في الخيرات.

٥ ـ شح النفوس.

٦ ـ شيوع سوء الظن بين الناس.

٧ ـ تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٨ ـ الشذوذ الجنسي.

٩ ـ انتشار الطاعون.

١٠ ـ انتشار الحروب.

١١ ـ كثرة الفتن حتى بين المؤمنين.

١٢ ـ قطيعة الرحم.

١٣ ـ عدم التزاور وعدم التراحم.

١٤ ـ أكل المرأة من كد فرجها وكذلك زوجها (قلة الشرف والعفاف).

١٥ ـ استخدام القرآن للزينة.

١٦ ـ هجرة القرآن والتغني به واستخدامه للأموات.

١٧ ـ هجران المساجد وكثرة تزيينها والاهتمام بعمرانها دون عمارتها بالتقوى.

١٨ ـ انتشار وسائل الموسيقى على نطاق واسع.

١٩ ـ استخدام النساء لوسائل النقل.

٢٠ ـ حكم الصبيان والولدان وحكم النساء.

٢١ ـ آيات سماوية وأرضية متعددة.

٢٢ ـ شيوع الخوف والاضطراب وعدم الأمن.

٢٣ ـ انقراض الحيوانات وتشوه الطبيعة.

٢٤ ـ شيوع الكذب والغيبة.

٢٥ ـ عدم المبالاة بأحكام الدين.

٢٦ ـ سرعة انقضاء الزمن (السنوات مثل الأشهر والأشهر مثل الأيام والأيام مثل الساعات) الخ...

## ٤ ـ العلامات القريبة (علامات ابتداء عصر الظهور)

المقصود بهذه العلامات تلك التي تدخلنا في عصر الظهور بغض النظر عن المدى الزمني لهذا العصر والذي قد يستمر لعقود طويلة من الزمن، لكن هذه العلامات في حال حصولها تجعلنا نطمئن إلى أننا دخلنا في هذا العصر تماماً كما هو حال شروق الشمس الذي تسبقه مرحلة الفجر، فما بين الغروب إلى الفجر العلامات البعيدة وما بين الفجر إلى الاحمرار العلامات القريبة وما بين الاحمرار والشروق العلامات المباشرة.

لذا يمكننا أن نصور حركة الغياب للإمام المهدي عليه السلام بحركة الغياب للشمس من الغروب إلى الشروق وهي تمر بمرحلتين:

١ ـ من الغروب إلى بداية الليل (الغيبة الصغر).

٢ ـ من بداية الليل إلى الشروق (الغيبة الكبرى) وهذه المرحلة تنقسم إلى ثلاث فترات:

أ ـ من بداية الليل إلى الفجر.

ب ـ من الفجر إلى الاحمرار.

ج ـ من الاحمرار إلى الشروق.

وكل فترة تشابه نوعاً من العلامات البعيدة والقريبة والمباشرة.

**والعلامات القريبة التي تدخلنا في عصر الظهور هي:**

**١ ـ إقامة دولة الإسلام في إيران:**

والتي هي بمثابة دولة التمهيد لصاحب الزمان عليه السلام ويكون

سيدها وقائدها بمثابة الممهد للإمام المهدي عليه السلام وأهمية هذا الحدث في التمهيد للظهور يكمن في المسائل التالية:

أ ـ حجيتها ودلالتها على حضور الغيب وتأثيره.

ب ـ دلالة شخص مفجرها على النموذج الأكبر لشخص تلك النهضة المهدوية الكبرى.

ج ـ دلالة نموذجها المصغر على نموذج النهضة الكبرى.

وبما أن الثورة الإسلامية المباركة في إيران والتي فجرها الإمام الخميني(قده) قد تكون هي المقصودة من العلامات التي حكت عن رجل من أهل قم وعن رايات المشرق وعن الرايات السود وعن أهل خراسان وعن الإسلام الذي لو كان في الثريا لناله رجال من فارس وفي حال كانت هي المقصودة فهذا يعني أنها هي دولة التمهيد للإمام المهدي عليه السلام وفي حال كانت كذلك فيمكننا عندها وبناءً على هذا الفرض أن نضع المعادلة التالية:

إذا كانت دولة تمهد لدولة ثانية فإن المنطق التاريخي يفرض عدم وجود فارق زمني كبير بين قيام الدولتين يكون مانعاً من بقاء صفة التمهيد وهذا المنطق يعني ضرورة التواصل بين الدولتين فلا يكون الفاصل بينهما اكثر من جيلين إلى ثلاثة أجيال ليبقى في الحد الأدنى جيل يمثل حلقة الوصل بين الدولتين إذ ليس من المنطقي أن يكون كل الذين عاصروا الدولة الأولى وهي الممهدة قد فارقوا الحياة عند قيام الدولة الثانية وهي الممهد لها لأن سمة التمهيد هنا تضعف وتتزلزل، وهذه المعادلة مبنية على أساس أن متوسط عمر الإنسان

يتراوح بين أربعة إلى خمسة أجيال وان الجيل هو بين ١٥ ـ ٢٠ سنة وكذلك مبنية على افتراض ثورة الإمام الخميني(قده) هي المقصودة مما ذكر في الروايات.

**٢ ـ انهيار آخر الامبراطوريات المادية (انهيار أمريكا):**

والدليل على ذلك ليس نص الروايات وإنما مفادها، حيث لم تتحدث الروايات عن دولة أو دول عظمى تكون موجودة وحاضرة عند الظهور، وإلا لو كانت موجودة لكان من الضروري التعرض في الروايات لطبيعة علاقة الإمام المهدي عليه السلام مع هذه الدول العظمى سواء لجهة الحرب أو السلم الهزيمة أو النصر لكن طالما لم تتعرض الروايات لذلك فهذا يعني أن هناك انهياراً لهذه الدول وخصوصاً للدولة العظمى الوحيدة التي بقيت بعد انهيار زعيمة المعسكر الشرقي.

هذه المقدمة تتأكد في حال أضفناها إلى مدلول الآية القرآنية التي يقول فيها سبحانه وتعالى ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الإسراء ـ ٥٨) أي أن الأمم الطاغية والمادية سوف تخضع لعملية الإبادة والتعذيب قبل يوم القيامة وهو مفاد السنن التي تعرضنا لها في البحوث السابقة وبالتالي فإن أمريكا كأمة سوف تخضع لعملية الانهيار تبعاً للسنة التاريخية القائلة بأن أي أمة لا تدين حقاً بدين الله تعالى حتى لو كانت في الظاهر إسلامية فإنها سوف تمر بمراحل نشوء وتصاعد وذروة وانهيار في نهاية المطاف، وقد يقول قائل بأن أمريكا سوف تنهار لكن من قال بأن الانهيار سيكون قبل الظهور؟ جوابه هو ما تقدم من أن عدم التعرض

لموضوع وجود قوة عظمى في فترة الظهور يعني بالمبدأ انهيار كل إمبراطوريات الكفر والشرك قبل تلك الفترة.

٣ ـ زوال أو دمار إسرائيل:

وتستفاد هذه العلامة من تأويل الآيات القرآنية الواردة في بدايات سورة الإسراء والتي تتحدث عن قيام دولة لليهود في فلسطين وعن دمار هذه الدولة على يدي اتباع أهل البيت عليهم السلام.

فقد وردت الروايات التي تفيد أن المقصود ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم أهل قم.

كما وردت الروايات التي تأول الآية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أن الله تعالى يعد بني إسرائيل أنه بعد دمار دولتهم وقبل زوالها النهائي سوف يعطيهم الفرصة للتوبة لكنهم لو عادوا للانتقام من المؤمنين من خلال التحالف مع السفياني فإن الله سبحانه وتعالى سوف يخرج وليه المهدي عليه السلام للانتقام منهم وإبادتهم فيقول الإمام الصادق عليه السلام في تأويل الآية: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، أي «إن عدتم بالسفياني عدنا بالمهدي». وان مهمة إزالة أو تدمير إسرائيل على يدي المؤمنين في آخر الزمان تتطلب جهوداً كبيرة من هؤلاء المؤمنين ليست عسكرية محضة وإنما جهوداً فكرية وتاريخية ترتبط بالقدرة على استيعاب المسلمين وتوسعة دائرة استقطابهم إلى الحق وزيادة مستوى رجوعهم إلى الإسلام وتحكيمهم مشروع الله تعالى والتزامهم بالدين وابتعادهم عن الهوى وتوحدهم على إسلامهم وتفرقهم عن الباطل وتجنبهم له وهذه المهام الاستقطابية التعبوية التربوية الاستنهاضية التوحيدية هي مهام صعبة لكنها مطلوبة في سياق التمهيد لصاحب الزمان عليه السلام

حيث سيكون معظم المسلمين من اتباعه وليسوا من أعدائه ومناوئيه ولتحقيق ذلك فالمطلوب أن يوسع الموالون عقولهم وفكرهم وكذلك صدورهم وأحلامهم من أجل إدخال واستقطاب أكبر عدد ممكن من المسلمين في دائرة الحق الذي يمثله الإسلام المحمدي الأصيل الذي سيأتي المهدي عليه السلام لينشره ويظهره على الدين كله.

**٤ ـ حدث في الشرق الأقصى:**

يمكن التعبير عنه بما ورد في القرآن الكريم بآية أو علامة يأجوج ومأجوج وهذه العلامة بحسب الظاهر سوف تحصل قبل الظهور وتؤشر إلى اقترابه فيقول سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾. (والوعد الحق الذي ورد ذكره في الروايات والأدعية هو ظهور الإمام عليه السلام: أين وعد الله الذي ضمنه).

أي أن يأجوج ومأجوج بحسب الظاهر من الآية هما أمتان كثيرتا العدد بحيث ينسلون كالنمل من كل حدب وإن هاتين الأمتين سوف تخرجان إلى العالم بشيء وهذا الشيء غير واضح هل هو الجوع أو المرض أو الدمار أو ابتداع شيء ما. وقد افترضنا أن هذا الحدث في الشرق الأقصى قياساً إلى ما ورد في قصة ذي القرنين عن السور الذي بناه ليحمي أهل ذلك الشرق من يأجوج ومأجوج، وكذلك التزاماً بالواقع الذي يقول بأن اضخم الأمم عدداً اليوم الصين والهند.

**٥ ـ العلامات المباشرة أو (المحتومة / الدلالة على الظهور):**

والمقصود بها تلك التي تؤشر إلى الخروج الفعلي للإمام

المهدي عليه السلام والتي في حال حصولها تقفل أبواب الشك في قضية الظهور وهي علامات بحسب دلالة عنوانها لا تخضع للبداء ولعل ذلك يعود إلى تمامية حجتها وإلى ضرورة بقاء جملة من العلامات الثابتة التي لا ينالها نصيب من التغيير والتبدل وفق معطيات الأنفس البشرية وتدخلها في حركة التاريخ ومن خلال تتبع الروايات المتواترة نجد أن هناك خمس علامات ذكرت في أكثر الروايات على إنها من المحتومة وهناك ثلاث علامات ذكرت أحياناً بأنها من المحتومة (والمقصود بالمحتوم هنا هو محتوم الدلالة وليس فقط المحتوم الحصول وإلا فقد وردت علامات كثيرة تحت هذا العنوان أي المحتوم ومنها زوال بني العباس وغيرها لذا يجب التميز بين محتوم الحصول ومحتوم الدلالة وبحثنا هنا في محتوم الدلالة والحصول).

أما العلامات الخمسة الأكثر وروداً في روايات العلامات المحتومة فهي:

١ ـ اليماني.

٢ ـ السفياني.

٣ ـ الصيحة.

٤ ـ الخسف.

٥ ـ قتل النفس المحترمة.

والعلامات الثلاثة الأقل وروداً في روايات العلامات المحتومة فهي:

١ ـ الخراساني.

٢ ـ اعور الدجال.

٣ ـ ظهور الشمس من المغرب.

ولتفصيل كل علامة من العلامات الثمانية نقول تبعاً لمضمون ما ورد في الروايات وبشكل مختصر ما يلي:

١ ـ **اليماني**: صاحب راية حق أهدى الرايات يخرج من اليمن أو من صنعاء أو يمكن أن يكون أصله من اليمن في إحدى عينيه أو كلتيهما كسر أو علامة هو أكثر من يدعو إلى صاحب الزمان وفي حال خروجه يحرم بيع السلاح على كل مسلم لأن خروجه مؤشر بارز على فعلية ظهور الإمام عليه السلام ويظهر من الروايات أيضاً أنه من الربانيين الذين يدعون إلى الحق والى الصراط المستقيم.

٢ ـ **السفياني**: صاحب راية ضلال بل الراية الأضلّ من أحفاد أبى سفيان دميم المنظر حاقد على المؤمنين يخرج من الوادي اليابس بين فلسطين والأردن يتحالف مع بقايا اليهود يحتل فلسطين والأردن وسوريا يغير على العراق وفي رواية يخسف بجيشه بين العراق والمدينة وفي أخرى أن الخسف بجيشه يحصل بين المدينة ومكة بعد أن يستبيح مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وبين خروجه وظهور الإمام المهدي عليه السلام حمل امرأة وهو يخرج في شهر رجب.

٣ ـ **الصيحة**: آية سماوية تحصل في شهر رمضان في السنة التي تسبق عام الظهور وبالتحديد (في ليلة جمعة) في النصف الثاني من شهر رمضان ولعلها ليلة القدر الكبرى وهي نداء من السماء يسمعه أهل الأرض كل بلغته مضمونها «ان الحق في آل محمد فاتبعوهم».

٤ ـ **الخسف**: آية أرضية تحصل على ما قيل في شهر ذي القعدة قبل أشهر قليلة من حدث الظهور وقد تكون هي نفس الخسف الذي يحصل في البيداء في جيش السفياني والذي يؤدي إلى قتل جميع الجيش عدا اثنين.

٥ ـ **قتل النفس الزكية**: أقرب حدث إلى الظهور وهو قتل سيد هاشمي متوسط العمر أو صغير (غلام) ذي شخصية بارزة يرسله الإمام المهدي لكي يعلن للمسلمين الحافين حول بيت الله الحرام بأن إمام زمانهم سوف يعلن ظهروه خلال الأيام القادمة وعليهم أن يتهيئوا ويستعدوا لذلك فيقوم بعض النواصب بقتله بين الركن والمقام وبين قتل النفس الزكية وظهور الإمام المهدي عليه السلام حوالي ٢٥ يوماً.

٦ ـ **الخراساني**: ذكر أحياناً أنه من العلامات المحتومة لكن يمكن التمييز بين وجود الخراساني وبين خروجه حيث الخروج قد يكون من العلامات المحتومة بسبب تزامنها مع خروج اليماني والسفياني (فالمذكور في الزيارات أن هذه الرايات تتحرك في سنة واحدة وشهر واحد ويوم واحد). والخراساني سيد هاشمي من خراسان في يده اليمنى علامة يحكم دولة الإسلام في إيران صاحب الرايات السود رايته إحدى رايات الحق بل أكبرها ويسلم الراية أخيراً إلى صاحب الزمان عليه السلام يقطع طريق السفياني في حركته نحو الحجاز.

٧ ـ **أعور الدجال**: ذكر أحياناً انه من علامات الظهور المحتومة واختلف حوله هل هو رمز أم شخص وفي حال كان رمزاً فتعددت التأويلات (التلفزيون، الدولار...) وفي حال كان رجلاً فهو شخص

أعور يخرج من إحدى قرى أو بلدات أصفهان يستغل فقر الناس وهو يملك الإمكانات يؤثر في عقائد الناس يحرفهم عن الحق باسم الحق.

٨ ـ ظهور الشمس من المغرب أو شروقها من الغرب قيل إنها آية مرتبطة بحدث كوني يمكن أن يحصل ويقلب دورة الأرض وتم تأويله أيضاً بأنه خروج الإمام المهدي عليه السلام والذي يعبر عنه بالشمس التي تشرق على دنيا الوجود وذلك من المدينة المنورة أو من مكة التي تمثل الغرب بالنسبة لبلاد الشرق في إيران وقد ذكرت أحياناً أنها من العلامات المحتومة.

وبناء على ما تقدم فإن تسلسل الأحداث المتبقية سيكون بناء على مفاد الروايات:

١ ـ انهيار أميركا.

٢ ـ ضعف إسرائيل وتدميرها.

٣ ـ قيام السفياني وتحالفه مع اليهود وسيطرته على بلاد الشام وإمكانية سيطرته على العراق.

٤ ـ خروج اليماني والخراساني لمحاربة السفياني.

٥ ـ الصيحة في شهر رمضان.

٦ ـ الخسف في البيداء.

٧ ـ قتل النفس الزكية.

٨ ـ ثم خروج الإمام المهدي عليه السلام.

# أحداث الظهور وما يليها

١. خروج الإمام المهدي عليه السلام.

٢. حركة الإمام عليه السلام بين القبلتين.

٣. دور نبي الله عيسى عليه السلام.

٤. إقامة دولة العدالة الإلهية.

٥. إزالة الفساد وإقامة جنة الله على الأرض.

٦. شهادة الإمام عليه السلام.

## ١ ـ خروج الإمام المهدي(ع):

بعد مقتل النفس الزكية بين الركن والمقام والتي تكون قد أعلنت للملأ من المسلمين المجتمعين في بيت الله الحرام عن وجود الإمام عليه السلام في المدينة وعن قرب مجيئه إلى مكة، يأتي يوم العاشر من محرم من سنة وترية وذلك في نفس التاريخ الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام ويكون بحسب أكثر الروايات يوم جمعة وإن قيل في بعضها بأنه يوم سبت، وفي هذا اليوم يحضر الإمام المهدي عليه السلام

إلى مكة ويدخلها على حين غرة ويأتي إلى أنصاره الذين يجتمعون حوله في الكعبة فيسند الإمام ظهره إليها، ويخاطب أنصاره ومحبيه الحاضرين قائلاً: «من أراد أن ينظر إلى آدم فأنا أولى بآدم ومن أراد أن ينظر إلى نوح فأنا أولى بنوح» وهكذا.. إلى أن يصل إلى قوله «من أراد أن ينظر إلى محمد ﷺ فأنا أولى بمحمد ﷺ...» ثم يأمر أصحابه بالاستعداد للمهمة التاريخية العظمى التي ستناط بهم، فيتفرقون عنه وكان على رؤوسهم الطير لهول الكلمات التي تنبئ عن مسؤوليات كبرى ليس من السهل تحملها وبعد أن تذهب الطيرة عنهم يعاودون الاجتماع إليه حيث يبلغهم بمخطط خروجه من مكة وإلى أين ستكون وجهة سيره، تلك الوجهة التي ستظهر كما تعرضنا سابقاً مشابهة لحركة الإمام الحسين عليه السلام أي بعد الخروج من المدينة إلى مكة يتوجه إلى كربلاء ومنها إلى الشام ما عدا مقطع أخير لم يسلكه الإمام الحسين عليه السلام وهو من الشام إلى فلسطين.

## ٢ ـ حركة الإمام(ع) بين القبلتين:

يتحرك الإمام عليه السلام من مكة ومعه أنصاره الأساسيون ويقال أن عددهم يقارب الألف وتكون وجهته إلى كربلاء إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام لزيارة جده حيث يتعهد له بالانتقام من الذين ظلموه وقتلوه وسبوا عياله ويقال أنه في كربلاء يلتحق به الخراساني وعلى رأس جيشه شعيب بن صالح التميمي ثم يسير الركب إلى الشام بعد خرابها من قِبل السفياني فيتم تحريرها من بقايا جيشه ويقال أنه فيها يلتحق إبدال الشام بالإمام عليه السلام ويكمل الجميع السير نحو فلسطين من جهة طبريا وهناك وعلى بحيرتها كما ذُكر في بعض الروايات يقوم

الإمام المهدي عليه السلام بذبح السفياني وقتل من بقي معه من اتباعه ومن اليهود المتحالفين معه ويكون ذلك عند حلول تاريخ عيد الفصح لدى النصارى الذين يترقبون قيامة المسيح فينزل في ذلك الزمان عيسى بن مريم عليه السلام من السماء ليلتحق بالركب المبارك للإمام المهدي عليه السلام ولأنصاره ويسير الجميع نحو القدس فيدخلونها فاتحين ظافرين ويأتي وقت الصلاة فيصلي الإمام المهدي عليه السلام بالحاضرين بمن فيهم نبي الله عيسى عليه السلام وبعد هذه الصلاة يعلن الإمام المهدي عليه السلام من المسجد الأقصى (القدس أرض المحشر والمنشر) تحرير العالم من الفساد والجور والظلم ويعلن إقامة دولة العدالة الإلهية على وجه الأرض وفي ذلك الجمع يتم تحديد مسؤوليات القادة والأنصار فيتم توزيعهم على مناطق الأرض المختلفة.

## ٣ ـ دور نبي الله عيسى بن مريم(ع):

لقد رفع الله سبحانه وتعالى نبيه عيسى بن مريم عليه السلام من أجل مهمة تاريخية مستقبلية لها علاقة بإقامة دولة العدل على الأرض هذه المهمة التي أنيطت أساساً بآخر حفيد من أحفاد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله هذه المهمة التي سوف تنجز بفعل إرادة البشر في نهاية المطاف ولن تُفرض كرهاً على الناس وبحسب الظاهر فإن نسبة كبيرة من البشر سيكونون في آخر الزمان من النصارى الذين يصرّحون بإتباعهم لعيسى بن مريم عليه السلام ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ والذين ينتظرون قيامته وعودته إلى الأرض وهؤلاء النصارى إما أن الإمام يحاربهم وإما أنه يسالمهم وفي حال محاربتهم فهذا يعني أن الأرض لن تكون مهيأة لقيام الدولة الإلهية والأمر يحتاج إلى كثير من

المواجهات فالأولى هو المسالمة مع النصارى والعمل على استقطابهم إلى الحق طالما انهم يتمتعون بمواصفات تجعلهم جاهزين لذلك ومنها عدم الاستكبار وهذه العملية صعبة التحقق بالأسباب العادية بلحاظ المسافة الوجدانية والذهنية والاعتقادية الفاصلة بين الإمام المهدي عليه السلام وبين الجمهور المسيحي، فلا بد من واسطة تسمح بأداء هذه المهمة أي استقطاب النصارى إلى الحق والتحاقهم بمسيرته وهنا تكمن أهمية دور نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء ـ ١٥٩) أي بعد رفعه إلى السماء وقبل موته فإنه سيكون حجة على أهل الكتاب خصوصاً النصارى الذين يتبعونه ويؤمنون به ويكون ذلك حجة عليهم في الإيمان بالمهدي عليه السلام الذي يتبعه ويؤمن به نبي الله عيسى عليه السلام.

### ٤ ـ إقامة دولة العدالة الإلهية:

ـ إن أهل الديانات غير السماوية أو الذين لا دين لهم والذين يمثلون حوالي ثلث سكان العالم، هؤلاء سيكونون بين ميت بفعل الكوارث والأحداث وبين مستضعف لا يجد سبيلاً أمامه سوى الالتحاق بالإمام المهدي عليه السلام.

ـ وإن النصارى وهم يشكلون أيضاً حوالي ربع سكان العالم فهؤلاء إما سيكونون من الأموات بفعل الأحداث التي تسبق الظهور وإما سيلتحقون بعيسى عليه السلام فيلحقهم بدوره بالإمام المهدي عليه السلام.

ـ وإن أكثرية المسلمين سيلتحقون بالإمام المهدي عليه السلام لأنهم ينتظرونه ويؤمنون به وإن اختلفوا في بعض التفاصيل حول ولادته

فيبقى أن أعداء الإمام هم ثلة من اليهود وثلة من النواصب وثلة ممن لا دين له وهؤلاء يتم القضاء على أكثرهم في رحلة الإمام عليه السلام بين مكة والقدس وبعد القضاء عليهم يتم إعلان دولة العدالة الإلهية حيث يتم توزيع العالم إلى ٧ أقاليم كبرى بمثابة قارات يحكم هذه الأقاليم ١٢ نقيباً ويكون مع كل نقيب حوالي ٢٥ قائد لواء من أصل ٣٠٠ قائداً ويكون على كل دولة من دول العالم عدد من القادة يتناسب مع عدد سكان الدولة ويتم الاستفادة من المناطق حيث عدد القادة كبير من أجل حكم مناطق أخرى من العالم لذا وردت الروايات التي تتحدث عن إرسال الإمام عليه السلام لبعض القادة إلى دول أجنبية بالنسبة إليهم خصوصاً في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وذلك لأن معظم القادة هم من المنطقة الممتدة بين إيران والخليج وشمال أفريقيا وبلاد الشام وشرق آسيا وبالتالي لا بد من الاستفادة من بعض هؤلاء القادة لحكم مناطق بعيدة في هذا العالم وهكذا تكون هيكلية إدارة العالم من قِبل الإمام المهدي عليه السلام على النحو التقديري التالي:

| |
|---|
| الإمام المهدي(ع) حاكم الأرض والكون وعاصمته الكوفة |
| نائب الإمام المهدي(ع) وهو أهم النقباء (الوزير) |
| النقباء الاثنا عشر وهم من العلماء الربانيين المجاهدين ويحكمون الأقاليم السبعة |
| القادة الثلاثماية وهم من خيرة الأنصار ويحكمون الدول والمناطق والمحافظات في هذا العالم |
| الأنصار والاتباع والجند الموزعون في أرجاء الأرض |

## ٥ ـ إزالة الفساد وإقامة جنة الله على الأرض:

بعد أن يلتحق غالبية الناس بالحق فإنهم بذلك يلفظون الباطل ويكفرون به، وعندما ينتقم الإمام المهدي عليه السلام من الظالمين على امتداد هذا العالم وفي الطول الزماني والعرض المكاني فإنه بذلك يزيل الفساد الذي أشاعه الظالمون في الأرض وبإزالة الفساد يتم التخلص من أثاره ومن الآثار الأساسية التي تكون الأرض قد شهدتها بفعل الفساد:

ـ الجدب والقحط وقلة الخيرات والبركات وندرة المطر وزيادة التصحر.

ـ انقراض الحيوانات والنباتات بشكل تدريجي.

ـ التلوث البيئي، ونقصان الغذاء في الأطعمة والأشربة.

ـ الموت الفجأة، وشيوع الأمراض والأوبئة.

ـ كثرة الزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية.

وعندما يقوم الإمام المهدي عليه السلام بإزالة الفساد فإن هذه النتائج المترتبة على الفساد تزول بزواله، وبالتالي فإن حال الدنيا والناس يتبدل إلى أحسن حال، ومما تظهره الروايات في هذا الصدد:

ـ زيادة المطر والعشب والنباتات والشجر والاخضرار.

ـ اندثار التلوث والأوبئة والأمراض.

ـ ارتياح الأرض والكائنات واستقرارها.

ـ شيوع حالة الأمن والسلام والاستقرار بين الكائنات الحية.

وبالتالي فإن المشهد العام سيصبح على شاكلة الجنة التي تقوم على هذه الأرض وهناك إشارة قرآنية إلى هذا المعنى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ (الزمر ـ ٧٤).

وهنا يظهر المشهد الذي يوضح العلاقة بين إقامة الإسلام وبين السعادة في عالم الدنيا حيث الظن السائد عند غالبية الناس يفيد بوجود نوع من التناقض بين الإسلام وبين الحياة الدنيا أي بينه وبين المدنية فالإسلام بحسب هذا الظن دين المعنويات والآخرة ولا يهتم بحياة الناس وشؤون دنياهم ويستفيدون من واقع المسلمين المزري من أجل تأكيد هذا الظن فيأتي المشروع الذي يقيمه الإمام المهدي لينفي هذا الظن وليؤكد مدى اهتمام الإسلام بالحياة الدنيا لكن الدنيا التي هي ظاهر الآخرة والتي هي الطريق والممر إلى تلك الدار الخالدة أي أن الثنائية الإشكالية بين الإسلام والمدنية وبين الأصالة والعصرية ستبقى مطروحة ومتداولة إلى حين قيام الإمام المهدي عليه السلام بمهمته وإنجازه للدولة الإسلامية العالمية الحديثة القائمة على مبادئ إسلامية والمعززة بعلوم وتقنيات ووسائل اكثر من حديثة ومتطورة.

## ٦ ـ شهادة الإمام المهدي(ع):

يستمر حكم الإمام المهدي عليه السلام بحسب الروايات فترة زمنية تتراوح بين ١٤ سنة و٧٠ سنة لكن قيل بأن هذه السنوات ليست من سني الدنيا التي تصبح في آخر الزمان تمر مر السحاب كما أنها ليست من سني الآخرة التي يكون اليوم فيها كألف سنة مما تعدون، وإنما هي سنوات وسيطة من أجل تملي الناس من مشاهدة عظمة الإسلام

في الدنيا قبل أن يشاهدوا عظمته في الآخرة. وفي نهاية حكمه عليه السلام يتعرض الإمام لعملية اغتيال حسب ما ذكر على يد امرأة يهودية وهنا قد يتساءل البعض مستنكرين هذه النتيجة فكيف ستقدر امرأة يهودية على قتل الإمام بالرغم من أنه عليه السلام قد أزال الفساد والباطل فهل هذا الفساد يعود من جديد؟!.. الجواب أن الفساد الذي يزيله الإمام عليه السلام هو الظاهر في البر والبحر والذي جاء نتيجة طغيان أهل الباطل وسطوتهم لكن الفساد الموجود في نفوس بعض البشر فإن الإمام عليه السلام غير مسيطر عليه وليس قادراً على إزالته وإلا لكان الإيمان والتدين مفروضاً على الناس وهذا ما لا يريده الله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ لذا فإن المشهد العام في دولة الإمام المهدي عليه السلام هو الحق والحقانية لكن لا يعني ذلك انتفاء الشر من نفوس جميع البشر.

وبعد شهادة الإمام المهدي عليه السلام وبحسب الأصل الحاكم على مسيرة الكون فإنه إذا غاب الإمام ساخت الأرض بمن عليها فإن شهادة الإمام عليه السلام ستكون إعلان نهاية الحياة على هذه الأرض وبداية الاستعداد للنشور وللحشر وللحساب وقيل بأنه بعد شهادة الإمام عليه السلام تعيش الأرض فترة زمنية من الضياع والتشتت والإرباك حتى يتمنى الناس الهلاك فيحصل ذلك وإن هذه الفترة تكون حوالي سنتين وهي الفترة الفاصلة بين شهادة الإمام عليه السلام وقيام الساعة. وان قيل أيضاً بأن الرجعة للائمة المعصومين سوق تحصل بعد شهادة الإمام المهدي عليه السلام، لكن المستفاد من اكثر الروايات أن الرجعة ستحصل في زمن الإمام عليه السلام لأنه هو المعني بالثأر والانتقام للأولياء والصالحين فكيف سينتقم لهم بعد شهادته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أنصاره وأعوانه ومن المستشهدين بين يديه والسلام عليه يوم ولد ويوم غاب ويوم يعود ويوم يستشهد ويوم يبعث حياً.

# المصادر


- القرآن الكريم.
- بحار الأنوار.
- كنز العمال.
- نهج السعادة.
- الغيبة للنعماني.
- كتاب الفتوح
- أمل الآمل

# الفهرس

الإهداء ..... ٥

**بداية الصراع** ..... ٧

١ ـ مقدمة ..... ٧

٢ ـ القواعد الحاكمة للصراع ..... ٨

٣ ـ حركة التاريخ في الفلسفة الإسلامية ..... ١٠

**السنن الجارية على الأمم والمجتمعات** ..... ١٧

١ ـ قوم نوح(ع) والطوفان ..... ١٧

٢ ـ عاد وثمود وعاقبة الاستكبار ..... ١٩

٣ ـ قوم لوط والهلاك بسبب الفساد الأخلاقي ..... ٢١

٤ ـ قوم شعيب والهلاك بسبب الفساد الاجتماعي ..... ٢٢

٥ ـ بنو إسرائيل وخلاصة الفساد البشري ..... ٢٣

السنن الجارية على الطواغيت ..... ٢٧

النموذج الأول، النمرود ..... ٢٧

النموذج الثاني، فرعون ..... ٢٩

النموذج الثالث، قارون ..... ٣١

النموذج الرابع، بلعم بن باعورة ..... ٣٢

حركة الصلاح البشري ..... ٣٥

مقدمة ..... ٣٥

الأولين والآخرين ..... ٣٦

أهمية الانتقام للأنبياء والأولياء والمؤمنين في الدنيا ..... ٣٧

العلاقة بين المهدي(عج) والانبياء(ع) ..... ٣٩

الإسلام وتمامية حركة الصلاح ..... ٤٣

الشمولية (فيه تبيان كل شيء) ..... ٤٣

الحاكمية (إن الحكم إلا لله) ..... ٤٤

العالمية ..... ٤٦

عاشوراء محطة التقويم والاستنهاض ..... ٤٩

عاشوراء وحماية الدين ..... ٤٩

عاشوراء والنهضة المهدوية ..... ٥١

وكذلك ستكون النهضة المهدوية ..... ٥٤

محطات الإسلام العظيم ..... ٥٥

**دور الأئمة (عليهم السلام) بعد عاشوراء ..... ٥٧**

مقدمة ..... ٥٧

الأدوار الأساسية التي قام بها الأئمة(ع) بعد عاشوراء ..... ٥٩

على المستوى السياسي ..... ٥٩

على المستوى الفكري والعلمي ..... ٦٠

على المستوى التربوي ..... ٦١

دور الأئمة(ع) خلال هذه الحقبة في التمهيد لصاحب الزمان(ع) ٦١

**فلسفة غيبة الإمام المهدي (عج) ..... ٦٥**

فلسفة الغيبة الصغرى ودواعيها ..... ٦٥

أسباب الغيبة الكبرى ..... ٦٧

فلسفة الغيبة الكبرى ..... ٧٠

**دور الممهدين في صناعة أسباب الظهور ..... ٧٥**

أولاً: تشخيص اللحظة التاريخية للظهور ..... ٧٥

ثانياً: الحاجة إلى الممهدين في تهيئة أسباب الظهور ..... ٧٧

ثالثاً: الممهدون والانصار الاساسيون ..... ٧٨

١ ـ رايات المشرق/ الرايات السود/ أهل قم/كنوز طالقان ..... ٧٩

٢ ـ أبدال الشام ..... ٨٠

٣ ـ عصائب أهل الحق في العراق ..... ٨١

٤ ـ أهمية الطموح لبلوغ أعلى مراتب النصرة ..... ٨٢

٥ ـ مواصفات الانصار الحقيقيين تبعاً للمهام ..... ٨٣

**فلسفة علامات الظهور وتقسيماتها** ..... ٨٧

١ ـ فلسفة علامات الظهور ..... ٨٧

٢ ـ نظرة في العلامات وتقسيماتها ..... ٨٩

٣ ـ العلامات العامة (وهي ذات دلالة بعيدة) ..... ٩٠

٤ ـ العلامات القريبة (علامات ابتداء عصر الظهور) ..... ٩٣

**أحداث الظهور وما يليها** ..... ١٠٣

١ ـ خروج الإمام المهدي(ع) ..... ١٠٣

٢ ـ حركة الإمام(ع) بين القبلتين ..... ١٠٤

٣ ـ دور نبي الله عيسى بن مريم(ع) ..... ١٠٥

٤ ـ إقامة دولة العدالة الإلهية ..... ١٠٦

٥ ـ إزالة الفساد وإقامة جنة الله على الأرض ..... ١٠٨

٦ ـ شهادة الإمام المهدي(ع) ..... ١٠٩

المصادر ..... ١١٣

الفهرس ..... ١١٥